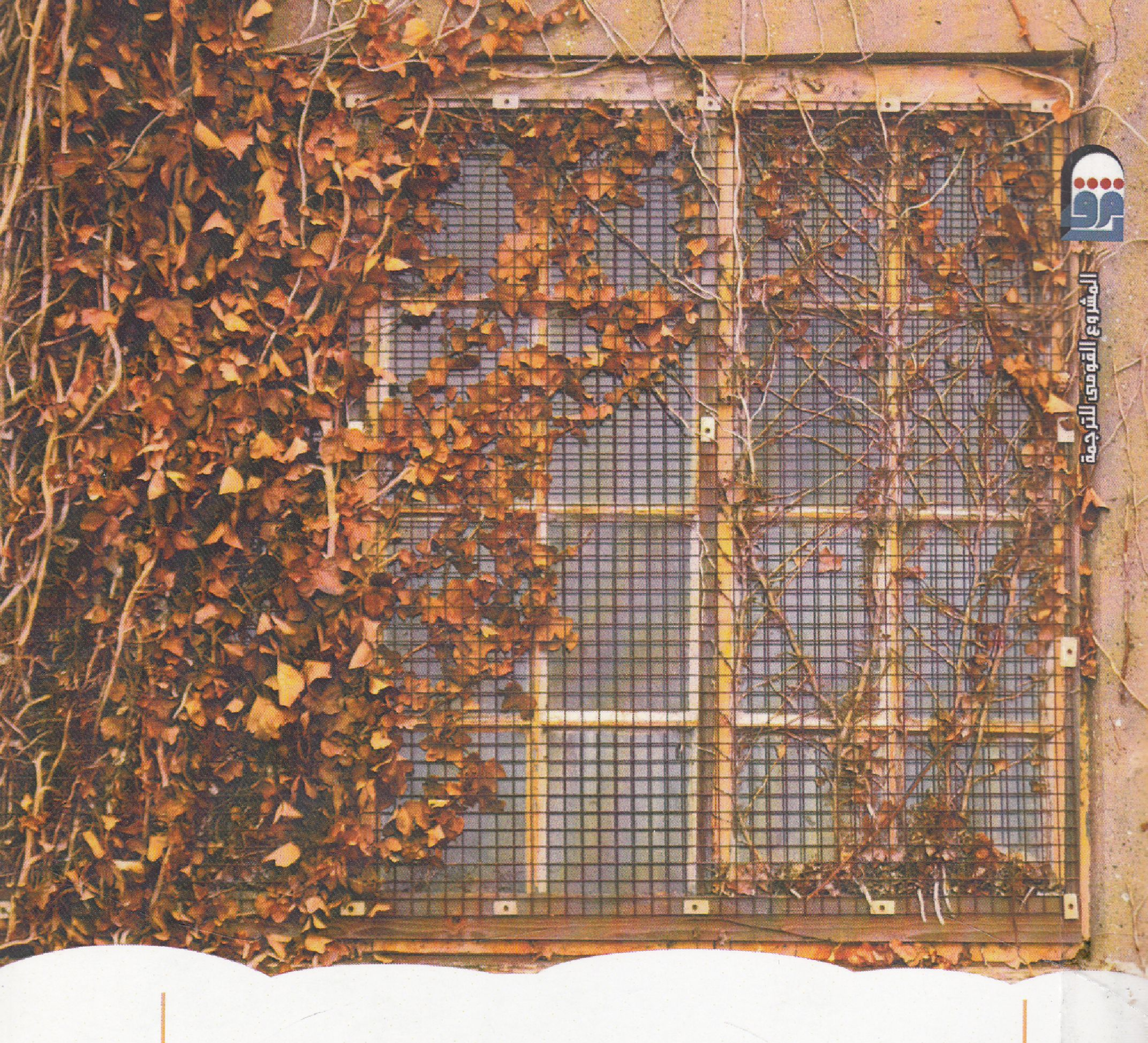


مختارات من أشعار الشاعرة الإيرانية

فروغ فرخزاد

ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم

سلسلة الشعر

المركز القومى للترجمة

1612

مختارات من أشعار

الشاعرة الإيرانية فروغ فرخزاد

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

سلسلة الشعر
المشرف على السلسلة : رانيا فتحى

- العدد : 1612
- مختارات من أشعار الشاعرة الإيرانية فروغ فرخزاد
- محمد نور الدين عبد المنعم
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة :

لمختارات من أشعار الشاعرة الإيرانية

فروغ فرخزاد

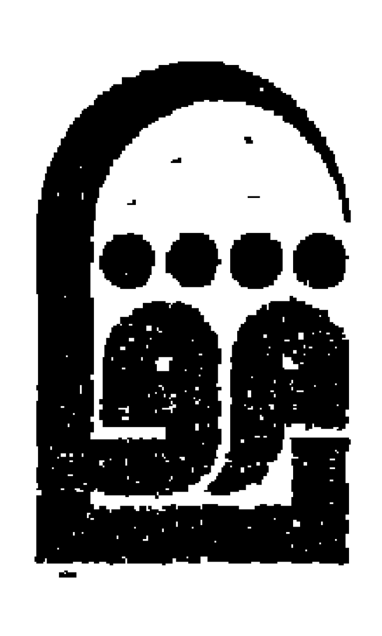
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦
فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

مختارات من أشعار الشاعرة الإيرانية

فروغ فرخزاد

ترجمة : محمد نور الدين عبد المنعم



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

فرخزاد ، فروغ .

مختارات من أشعار الشاعرة الإيرانية فروغ فرخزاد / ترجمة :

محمد نور الدين عبد المنعم

ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠

٣٠٠ ص ، ٢٠ سم

١ - الشعر الإيرانى.

(أ) عبد المنعم ؛ محمد نور الدين (مترجم)

(ب) العنوان ٨٩١,٥١

رقم الإيداع ٢٠١٠/٥٩٧٣

الترقيم الدولى 978-977-479-993-9

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

تقديم المترجم

هذه المختارات التى أقدمها اليوم للقارئ العربى مترجمة عن اللغة الفارسية هى مجموعة منتقاة من قصائد الشاعرة الإيرانية الشهيرة فروغ فرخزاد (١٩٣٢-١٩٦٦)، التى صدمت بأشعارها وما تضمنته من أفكار جريئة المجتمع الإيرانى وقت صدورها. وقد جاءت هذه الصدمة نتيجة أن الشاعرة حاولت أن تكون صريحة فى كل ما تقوله وتعبر عنه، فهى تشرح أحاسيس المرأة ومشاعرها تجاه الرجل فى وقت كانت المرأة فيه فى إيران وفى الشرق بصفة عامة لا تجرؤ على بيان ما يختلج فى صدرها من مشاعر الحب ورغبات الجسد. كما أنها كانت تنتقد المجتمع الذى عاشت فيه بكل ما فيه من جمود وتخلف يرجع بالدرجة الأولى إلى العادات والتقاليد البالية التى تسود هذا المجتمع، وقد حرصت الشاعرة على فضح عيوب هذا المجتمع وما إعتراه من قيود ونفاق ورياء، وكانت صادقة متمردة فى شعرها، ومن هنا عانت كثيراً من النقد الذى وجه إليها بسبب أشعارها وما تضمنته من أفكار اعتبرت حينذاك مخالفة للأخلاق ومناقضة للقيم، غير أنها أصبحت خالدة بعد ذلك بسبب شعرها الذى عاشت من أجله وإعتبرته شغلها الشاغل فى الحياة بعد فشل

زواجها وابتعاد ابنها عنها. والواضح من أسماء دواوينها الخمسة أنها كانت تعانى معاناة شديدة فى حياتها فبيت الزوجية والمجتمع ككل هو سجن لها، وقد أقيمت حوله الجدران الشاهقة، ولكنها تمردت وسعت وراء ميلاد جديد لها يتيحه نظم الشعر والتعبير عن الذات، وكانت دائما تأمل فى حياة جديدة وعصر جديد يختلف عن العصر الذى عاشت فيه. ورغم قصر عمرها فإن إنتاجها الشعرى ما زال يتداول بين قراء الفارسية، وما زال عشاق شعرها يحتفلون بذكراها ويزورون قبرها بعد مرور أكثر من أربعين سنة على وفاتها، ذلك لأنها كانت نموذجًا فريداً بين الشاعرات الإيرانيات، حيث ناضلت وحيدة، وانطلقت فى طريقها دون الاعتماد على نماذج سابقة تقتدى بها، وقد دمجت الشاعرة شخصيتها الشعرية بشخصيتها الحقيقية، حتى كادت حياتها وفنها يصبحان شيئًا واحداً، ولذلك قالت إنها تكتشف نفسها من خلال قصائدها.

وقد اعتمدت فى اختيارى لهذه المختارات الشعرية على نسخة من ديوان فروغ نشرتها فى طهران عام ٢٠٠٣م مؤسسة "پل" للنشر، وهى تضم دواوينها الخمسة فى مجلد واحد. كما اعتمدت أيضًا على نسخة من مختارات لأشعار فروغ بعنوان "برگزيده أشعار فروغ فرخزاد"، وهى مطبوعة أيضًا فى طهران للمرة الثالثة عام ١٩٧٣م، وقد أفدت كثيراً من بعض المؤلفات التى تدور حول الشاعرة وتترجم نماذج وشواهد من

أشعارها، ومن ذلك كتاب "امرأة وحيدة – فروغ فرخزاد وأشعارها" – تأليف مايكل هلمان وترجمة د. بولس سروع، ومراجعة أ.د. فكتور الكك، المنشور ضمن سلسلة إبداعات عالمية بالكويت عام ٢٠٠٧ م. كما أفدت أيضًا من رسالة الدكتوراه التى قدمها السيد الدكتور محمد صوفى محمد حسن لنيل درجة الدكتوراه عام ١٩٩١ م وعنوانها "دور فروغ فرخزاد التجديدى فى الشعر الإيرانى المعاصر" وهى لم تطبع حتى الآن. أضف إلى هذا ترجمة بعض قصائد فروغ باللغة الإنجليزية كالترجمة الخاصة بديوانها "الميلاد الجديد" التى قام بها ديفيد مارتن تحت عنوان:

A Rebirth - **Poems by Foroogh Farrokhzaad, translated from the persian by: David Martin, USA, Mazda publishers, 1985 .**

وترجمة بعض قصائدها إلى اللغة الإنجليزية الموجودة فى كتاب :

Kashan to kalamazoo - **Poems and poems in, translated by Massud Farzan, Pahlavi University Press, 1975 .**

ويضم الديوان الذى اعتمدت عليه مائة قصيدة ترجمت منها ستًا وستين قصيدة للشاعرة المذكورة، والمعروف أن هذه النسخة التى تضم دواوين الشاعرة الخمسة قد أغفلت بعض القصائد مثل قصيدة "انتقام" وقصيدة "دعوت" من ديوان "الأسيرة"، وقصيدة "گل سرخ" (الوردة

الحمراء) من ديوان "الميلاد الجديد"، وقصيدة "كناه" (الإثم) وقصيدة "آبتنى" (الاستحمام) من ديوان "ديوار" (الجدار)، وغير ذلك.

وقد سبق لى أن ترجمت أربع قصائد للشاعرة فروغ فرخزاد فى كتابى "مختارات من الشعر الإيرانى الحديث" الذى نشره المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٣ ضمن الألف كتاب الأولى من المشروع القومى للترجمة، وعشت مع أشعارها فترة طويلة إلى أن وفقنى الله إلى إخراج هذه المختارات إلى النور، وأرجو أن أكون قد وفقت فى فهم أشعار هذه الشاعرة ونقلها إلى اللغة العربية بالشكل اللائق بها حتى يستمتع بقراءتها القارئ العربى، وبذلك أضيف إلى المكتبة العربية سفراً جديداً يتناول إنتاج شاعرة إيرانية معاصرة نحت منحى جديداً فى شكل الشعر ومضمونه. والله ولى التوفيق.

محمد نور الدين عبد المنعم

كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر

مدينة نصر فى ١ يناير ٢٠٠٩

مقدمــة

تعتبر الشاعرة الإيرانية "فروغ فرخزاد" واحدة من أشهر شاعرات إيران فى العصر الحديث، ولدت عام ١٩٣٢م فى مدينة طهران لأب عسكرى هو العقيد "محمد فرخزاد" وأم هى السيدة "توران وزيرى تبار"، وأتمت تعليمها الابتدائى والإعدادى ثم التحقت بعد ذلك بالمدرسة الثانوية الفنية، وهناك تعلمت الخياطة والرسم.

بدأت فروغ فى نظم الشعر وهى فى سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، وبرعت فى فن الرسم، وقد تزوجت وهى فى سن السابعة عشرة من "پرويز شاپور" الذى كان موظفًا بوزارة المالية وكان يكبرها سنًا، وأثمر زواجهما هذا طفلاً يدعى "كاميار" أو "كامى" كما كانت تدلله، غير أن هذا الزواج لم يدم طويلاً، وانفصلت فروغ عن زوجها هذا بعد ثلاث سنوات من الحياة المشتركة فى عام ١٩٥٣م، وعادت إلى منزل أبيها، ثم تركته لتعيش حياة حرة كما كانت تطمح دائمًا؛ فقد كانت تشعر أن بيت الزوجية يشكل بالنسبة لها سجنًا يحول بينها وبين الحرية التى تصبو إليها. إلا أن فروغ عانت معاناة شديدة بسبب فراقها لابنها الذى أخذه

أبوه بحكم القانون، وظلت قلقة بسبب بعده عنها، ليس هذا فحسب، بل إنها كانت قلقة أيضًا من حكم ابنها عليها عندما يكبر، خاصة وأن الشائعات قد ترددت حول علاقاتها برجال آخرين.

نشرت الشاعرة فروغ أول مجموعة أشعار لها بعنوان "أسير" (الأسيرة)، وهى فى سن السابعة عشرة، وبعد ذلك بعام نشرت مجموعة أشعارها الثانية بعنوان "ديوار" (الجدار)، وقد أثار هذا الديوان ضجة فى الأوساط الأدبية الإيرانية بسبب أولى قصائده وهى بعنوان "گناه" (الإثم أو الذنب)، حيث تحدثت فيها عن ارتكابها لإثم ملىء باللذة، مما أثار عليها الكثيرون، وجعلهم يوجهون إليها الاتهامات لأنها عبّرت عن مشاعر المرأة وأحاسيسها بشكل صريح وبجرأة غير مسبوقة، وانتشر الهمس واللغط حولها. وقد عبرت الشاعرة عن ذلك بشكل جيد عندما قالت فى إحدى قصائدها، وهى بعنوان "رميده" (الخائفة – أو الفزعة) من ديوان "الأسيرة" :

"أفر من كل المعارف / وأتسلل إلى ركن بهدوء وصمت / وتغوص نظرتى فى الظلمات / وأصغى إلى قلبى المريض / أفر من هؤلاء الناس / الذين يبدون متوائمين معى فى الظاهر / ولكنهم ألصقوا بأذيالى فى الباطن / مائة فرية من شدة حقارتهم / عجبًا لهؤلاء الناس / الذين بمجرد سماعهم لأشعارى / تنفرج أساريرهم فى وجهى كالوردة العطرة / لكنهم بمجرد جلوسهم فى خلوة / يصفوننى بالمجنونة سيئة السمعة".

وفى عام ١٩٥٧ تصدر فروغ ديوانها الثالث وقد عنونته باسم "عصيان" (العصيان) وضم مجموعة من القصائد تتميز بحرية الفكر والتعبير، ويبدو من أسماء هذه الدواوين الثلاثة كم كانت الشاعرة متمردة على كل ما حولها من تقاليد وعادات فى المجتمع الإيرانى، وكانت ترغب بشدة فى الحديث عن كل شىء بصراحة ودون مواربة وبلا قيود، تقول فى إحدى قصائدها وهى بعنوان "عصيان" (العصيان) من ديوان "أسير" (الأسيرة) :

"لا توصد شفتى بقفل الصمت / فعندى فى القلب قصة لم تُحْكَ / وفك القيد الثقيل المقيدة به قدماى / فإن لى قلبًا مضطربًا من هذا العشق".

لقد وجدت فروغ ميلادها الجديد فى نظم الشعر بعد أن تخلصت من قيود الزوجية، وذكرت فى إحدى قصائدها وهى قصيدة "خانه متروك" (البيت المهجور) من ديوان (الأسيرة) أنها ستترك التفكير فى أى شىء آخر سوى الشعر، الذى وصفته بأنه حبيبها وسلوتها، وأنها مصممة على التفوق فيه وامتلاك ناصيته.

وتصف فروغ علاقتها بالشعر بأنه بالنسبة لها كالرفيق الذى يمكنها أن تشكو له كل ما يعن لها من آلام وآمال، وهو كالقرين الذى يكملها ويرضيها دون أن يؤذيها... وتشبهه بالنافذة المفتوحة التى ما إن تتجه نحوها حتى تنفتح تلقائيًا، وهى تجلس عندها، تنظر وتغنى وتصرخ

وتبكى وتندمج مع الأشجار، إن الشعر بالنسبة لها وسيلة للتواصل مع الوجود، الوجود بمعناه الواسع. وتقول فروغ إنها لا تبحث في شعرها عن شيء، بل هي تجد فيه ذاتها.. وهي ترغب في أن يأخذ الشعر بيدها ويمضي بها ويعلمها كيف ينبغي لها أن تفكر وتنظر وتشعر وترى.

تصدر بعد ذلك فروغ ديوانها الرابع وهو بعنوان "تولدى ديگر" (الميلاد الجديد)، ثم يصدر لها بعد موتها ديوانها الخامس وهو بعنوان "ايمان بياوريم به آغاز فصل سرد" (فلنؤمن ببداية فصل البرد) وذلك في عام ١٩٧٣ م، ويتميز هذا الديوان بطول قصائده بالمقارنة بقصائد الدواوين الأربعة السابقة. وقد تركت فروغ بالإضافة لدواوينها الخمسة رواية لم تكتمل وسيناريو لفيلمين وعدة لوحات ومشروعات فنية.

لم تكتف فروغ بنظم الشعر فقط، فقد كانت فنانة متعددة المواهب، فدخلت مجال السينما وتعاونت مع "ابراهيم گلستان" في إنتاج العديد من الأفلام التسجيلية، وسافرت في عام ١٩٥٩ م إلى إنجلترا لدراسة السينما، وزاولت عملية الإخراج في عدة أفلام، بل شاركت في التمثيل في بعضها، وكتبت سيناريو بعض الأفلام. كما اتجهت أيضًا للمسرح ولعبت دوراً في إحدى المسرحيات، وهي مسرحية "ست شخصيات تبحث عن مؤلف" للكاتب الإيطالي پيرانديللو عام ١٩٦٣ م.

وفي عام ١٩٦٦ م تنتهي حياتها على إثر تصادم سيارتها بسيارة أخرى، ورغم قصر عمرها إلا أنها تركت أثراً كبيراً في مجال الشعر

الفارسى الحديث، وخاصة الشعر النسائى الذى عبرت فيه عن أحاسيس المرأة ومشاعرها بحرية تامة، ولم تخضع فيه للتقاليد والقيود التى كانت سائدة فى مجتمعها آنذاك، كما صورت فى أشعارها المجتمع الإيرانى الذى عاشت فيه بكل صراحة ووضوح، ووصفت الطبيعة فى بلادها ووضع المرأة فى إيران فى ظل التقاليد والعادات المختلفة.

لقد أثرت حادثة طلاقها من زوجها، وإقصاء إبنها عنها تأثيراً كبيراً على حياتها، إلى درجة أنها تبنت طفلاً يدعى حسين، ورسمت له صورة زيتية فى أواخر حياتها. وهى لم تنس ابنها "كاميار" فقد أخذت تتحدث عنه بين الحين والآخر فى أشعارها وتتذكر تلك الفترة التى عاشت معه فيها، وقد أدى حرمانها من رؤيته بطبيعة الحال إلى التفكير فيه وتخيله وكأنه أمامها تخاطبه وتناجيه، وقد ظهر ذلك واضحاً جلياً فى مجموعة من القصائد، عبرت فيها عن عاطفة الأمومة وشوقها إلى رؤية ابنها.

المختارات الشعرية

من ديوان "الأسيــــرة"

الأسـيرة

أريدُكَ وأعلم أننى لن أضمك

إلى صدرى مطلقًا كما يتمنى قلبى ؛

فأنتَ تلك السماء الصافية المضيئة ،

أما أنا فطائر أسير فى زاوية قفص .

وأرنو إلى وجهك بنظرة كلها حسرة

من خلف القضبان الباردة المظلمة ،

وأتخيل أن يداً ستمتد لى

وأرفرف بجناحى فجأة متجهة صوبك .

وأفكر فى أننى سوف أطير

بعيدًا عن سجن الصمت هذا فى غفلة من الزمن ،

وأضحك على مرأى من السجان،
وأستأنف حياتى بجانبك.

أفكر فى هذا وأنا أعلم تمامًا
أنه ليست لدى الجرأة مطلقًا على مغادرة هذا القفص،
وحتى إذا رغب السجان فى ذلك
فأنا لم أعد أملك القدرة على الطيران.

ومن خلف القضبان، وفى كل صباح مشرق
يرنو طفل إلى وجهى مبتسمًا،
وعندما أشرع فى الغناء بسرور،
تقترب ناحيتى شفتاه لتقبلنى.
وإذا رغبتُ أيتها السماء فى أن
أطير مبتعدة عن سجن الصمت هذا ذات يوم؛
فماذا أقول لعين الطفل الباكية،
اتركينى؛ فأنا طائر أسير،

أنا تلك الشمعة أضيء الأماكن الخربة
عن طريق احتراق قلبي،

وإذا أردتُ اختيار الصمت؛
فسوف أجعل العش مضطربًا حزينًا.

الغريب

ها قد سقط قلبى فى أقدامى من جديد ،

ها قد تفرست عين فى وجهى من جديد ،

ها قد تغلب عشقى على قلب بارد

فى صراع ومعركة من جديد .

ها قد ارتوى ظمآن

من نبع شفاهى من جديد ... قد ارتوى

ها قد نام فى الفراش بين أحضانى

عابر سبيل ، وغطَّ فى النوم.

لقد تعلقت عيناى بعينيه فى دلال ،

وأنا نفسى لا أعلم عما أبحث فيه .

أريد عاشقًا مجنونًا ،
يتجاوز سريعًا الجاه والمال والمكانة .

هو يريد منى خمر القبلة ؛
فماذا أقول لقلبى المليء بالأمل .
هو يفكر فى اللذة ، ويغفل عن أننى
أسعى وراء تلك اللذة الخالدة .

أنا أريد منه صفاء العشق وبهجته ،
حتى أفتديه بكيانى ،
وهو يريد منى جسداً متأججًا ،
حتى يحرق فيه اضطرابه .
هو يقول لى : أيها الصدر الدافئ ،
دللنى منتشيًا ، فأنا مجنــون .
وأنا أقول له : أيها الغريب ،
اتركنى فأنا غريبة عنك .

آه من هذا القلب ، آه من كأس الأمل هذا ،
لقد تحطم فى نهاية الأمر ، ولم يقرأ أحد سِرَّه ،
وأصبح قيثارة فى يد كل غريب ،
وللأسف ، لم يلتفت إلى غنائه أحد .

الخريــف

لقد أغمضتُ عَيْنَيَّ المليئتين بالحزن
عن وجه الطبيعة الخادع،
حتى لا تمعن عيناى المحمومتين النظر
فى مظاهر الحسرة والمأتم هذه.

أيها الخريف، أيها المسافر المُغَبَّر،
ماذا تخفى فى حاشية ثيابك
غير الأوراق الجافة المتيبسة،
أى ثروة لك فى الدنيا غير هذا؟

ماذا يقدم غروبك المظلم الثقيل والصامت
لقلب الشاعر غيرَ الأحزان،

ماذا يمنح حضنك لروحى المتألمة

غيرَ البرودة والملل.

ففى حاشية سكوتِك المحزن،

يؤذينى الحزنُ النائم،

ويتراقص ذلك الأمل التائه،

وراء ستائر تصورى المبهم الغامض.

أيها الخريف، يا أنشودة مثيرة للخيال،

أيها الخريف، يا لحنًا محملاً بالمحن،

أيها الخريف، يا بسمة باردة متجمدة

فوق وجه الطبيعة الخادع.

الـوداع

سوف أرحل متعبة ذابلة ضعيفة

صوب مُقامى الخرب ،

قسماً بالله لسوف آخذ معى

قلبى المتمرد المجنون بعيداً عن مدينتك .

سوف آخذه حتى أطهره فى ذلك المكان البعيد

من لون الإثم ،

وأمحو عنه وصمة العشق ،

وأغسله من كل هذه الرغبة غير الملائمة والفاسدة .

سوف آخذه معى حتى أبعده عنك ؛

عنك يا من تكون مظهراً للأمل المستحيل .

سوف آخذه معي وأدفنه حيًا،

حتى لا يذكر بعد ذلك شيئًا عن الوصال.

ترتعش الأنات ، وتتراقص الدموع،

آه .. دعني أهرب منك،

يا نبع الذنوب الفياض،

ربما كان من الأفضل أن أعِفَّ وأكبح جماح نفسي.

قسمًا بالله لقد كنتُ برعمًا للسعادة،

وأقبلت يد العشق وقطفتني من على الغصن؛

فصرتُ شعلة للآهات ، فيا ألف حسرة

إذ لم تصل شفتي مرة ثانية إلى تلك الشفاه.

وفي نهاية الأمر قَيَّدت أغلالُ السفر أقدامي،

ولكنني سوف أرحل وعلى شفتي ابتسامة ، وأنا دامية القلب،

سوف أرحل؛ فارفع يدك عن قلبي

يا أمل العبث الذي لا طائل منه.

الهروب والألم

ذهبتُ ، فاعذرنى ولا تقل إنها عديمة الوفاء ؛
لأنه لم يبق لى من سبيل سوى الهرب .
حيث أصبح هذا العشق النارى الملىء بالألم بلا أمل ،
وقد ساقنى إلى وأدى الإثم والجنون .

ذهبت كى أمحو حرارة قبلتك المليئة بالحسرة
من على شفتىّ بدموع عينى ،
ذهبت حتى أبقى كأنشودة غير مكتملة ،
ذهبت حتى أحافظ على كرامتى مما لا يقال ،

ذهبت ؛ فلا تقل .. لا تقل .. لماذا ذَهَبْتِ ، لقد كان الأمر عاراً ؛
عشقى وتضرعك وحرقتنا ووضعنا ،

وقد شاع سرنا من وراء ستائر الصمت والظلام
مرة واحدة كما يبزغ نور الصباح .

ذهبت ، حتى أتلاشى كقطرة دمع حارة
بين طيات حاشية الحياة الفوسفورية .
ذهبت ، حتى أتخلص من صراع الحياة وحروبها
داخل ظلمة قبر بلا شاهد أو علامة .

هربت من العينين اللامعتين الباكيتين ،
هربت من الضحكات الهمجية المتوحشة العاصفة ،
هربت من فراش الوصال إلى أحضان الهجر الباردة ؛
وأنا أعانى من عذاب تأنيب الضمير .
فيا أيها الصدر احترق فى حرارة نيرانك المشتعلة الملتهبة ،
ولا تسألنى بعد ذلك عن شعلة النيران ؛
فقد كنت أريد أن أكون شعلة وأتمرد ،
ولكنى أصبحت طائراً مقيداً أسيراً فى ركن قفص .

إن روحي مشوشة لأن الليل لا يدرى شيئًا عنى،

وقد بكيت بمرارة على حاشية السكوت،

شاكية من الأفعال ، نادمة على الأقوال،

ورأيت أننى لست جديرة بك ولا بعشقك.

عفريت الليل

نَمْ يا ولدى الصغير

وأغمض عينيك ؛ فقد أقبل الليل.

أغمض عينيك ؛ فإن عفريت الليل هذا

قد جاء وكفه ملوثة بالدماء والضحكة تعلو شفتيه.

ضع رأسك على حِجْرى المتعب ،

واستمع إلى صوت وقع أقدامه ؛

فقد تحطم جذع شجرة الدردار العتيقة

بمجرد أن داس بقدمه عليها.

آه .. دعنى أسدل الستائر جميعها

على النوافذ ؛

فهو يختلس النظر من النافذة فى كل لحظة
بمائتى عين مليئة بالنار والدم.

واحترقَ من لهيب أنفاسه
الراعى فى قلب الصحراء الساكنة.
آه .. اهدأ؛ فإن هذا الزنجى الثمل
يستمع إلى صوتك من خلف الباب.

أَتَذَكَّرُ عندما يزعج طفل مُتْعِبٌ
أُمَّه المنهكة،
يأتى عفريت الليل من قلب الظلمات
فجأة ويأخذ الطفل.
ويهتز زجاج النوافذ
بمجرد مجيئه صارخًا،
ويصيح قائلاً : أين ذهب الطفل؟

استمع ، إنه يدق الباب بقبضته .

لا ، اذهب ، ابتعد يا سيئ السيرة ،

ابتعد إننى أشمئز من منظرك ،

أنى يمكنك أخذه منى ،

طالما أننى يقظة وهو بين أحضانى .

وفجأة تحطم سكون المنزل ،

إذ صرخ عفريت الليل قائلاً :

آه . . كفى يا امرأة فأنا لا أخشاك ،

لأن أذيالك ملوثة بالإثم ، ملوثة بالإثم .

حقا إننى عفريت ولكنك أكثر منى شراً ،

أنت أم وأذيالك ملوثة بالعار ،

آه . . ارفعى رأسه من فوق حِجْرِكِ ؛

فأين يستريح الطفل البرىء .

يخبو الصوت ، ويذوب قلبى الذى

يشبه الحديد فى نيران الألم،

وأنتحب قائلة يا "كامى" يا "كامى"

آه .. ارفع رأسك عن حِجْرى.

العصيان

لا توصد شَفَتَيَّ بقفل الصمت ؛
فعندى فى القلب قصة لم تُحْكَ .
وفك القيد الثقيل المُقَيَّدَةُ به قدماى ؛
فإن لى قلباً مضطرباً من هذا العشق .

أقبل أيها الرجل ، أيها المخلوق الأنانى المتغطرس ،
أقبل وافتح أبواب القفص ،
وإذا كنت قد سجنتنى زمناً ؛
فأطلق سراحى الآن ولو للحظة واحدة .

أنا ذلك الطائر الذى
تراودنى فكرة الطيران منذ زمن بعيد ،

وقد أصبح تغريدى أنينًا فى صدرى الضيق،
وانتهى عمرى فى الحسرات.

لا توصد شفتىَّ بقفل الصمت؛
فينبغى أن أفشى أسرارى،
ليصل إلى مسامع الناس فى العالم
دوىّ صوتى النارى .

أقبل ، وافتح الباب حتى أطير محلقة
صوب سماء الشعر المضيئة،
وإذا تركتنى أطير
فإننى سأصبح زهرة فى روضة الشعر.
إن شفتى بقبلتها الحلوة .. منك،
وجسدى بعطره الفواح .. منك،
ونظرتى بشررها المستتر،

وقلبى بأنينه الدموى .. منك .

ولكن أيها الرجل ، أيها المخلوق الأنانى المتغطرس ،

لا تقل إنه عار .. إن شعْرَكِ هذا هو العار ،

أنت لا تعرف شيئًا قط عن الغاضبين المتمردين ،

ففضاء هذا القفص ضيق ، إنه ضيق .

لا تقل إن شِعْرَك بأكمله إثم ومعصية ،

اعطنى قدحًا من هذا العار والإثم ،

إن الجنة والحور وماء الكوثر .. منك ،

فاعطنى منزلاً فى قعر الجحيم .

الكتاب ، والخلوة ، والشِعْر ، والصمت

هى بالنسبة لى سُكْر الحياة ونشوتها ،

فأى حزن يكون إذا لم أجد سبيلاً إلى الجنة ؛

فداخل قلبى جنة خالدة .

فى الليالى عندما يرقص القمر بهدوء،

وسط السماء الخرساء الصامتة،

أراك فى أحلامى، وأنا ثملة من الرغبات؛

فأحتضن جسد أشعة القمر.

أخذ النسيم منى آلاف القبلات،

ووهبتُ الشمس آلاف القبلات،

وفى ذلك السجن الذى كنتَ أنتَ فيه سجانًا،

ارتعد كيانى ذات ليلة من قبلة واحدة .

نحِّى حديث الاسم والسمعة الحسنة أيها الرجل؛

فإن العار قد أعطانى لذة حالة السكر،

وذلك الخالق سوف يعفو عنى،

لأنه وهب الشاعر قلبًا مجنونًا.

تعال وافتح الباب ، حتى أطير محلقة

صوب سماء الشعر المضيئة،

وإذا تركتني أطير

فإنني سأصبح زهرة فى روضة الشعر .

اللقاء المـــر

وأخيراً ترمى بزجاجة الأمل
على الأرض وتكسرها ،
إنك مغرور بشدة ، وأنت تخمد
النار الخالدة فى قلبى .

رأيتك .. وآه من هذا اللقاء ،
فلم تكن فيه نظرة ، ولا شفة مليئة بالشهد ،
ولا حرارة نَفَسٍ مليء بالرغبة والولع ،
ولا عناق للجسد ولا أحضان .

ما هذا العشق الذى أكنُّه فى قلبى ،
أنت تهرب منى وأنا أَجِدُّ فى طلبك ،

وما هي النتيجة التى أحصل عليها من هذا العشق،
إن سعيي باطل من جديد أيضاً.

إن شَفَتَيَّ الظمأى تبحث
عن شفتيك المتأججتين من جديد،
ويخفق قلبى، ومع كل خفقة
يُرَدِّدُ قصة عشقكِ.

إذا أبعدنى الحظ عنك؛
فسوف أحل عقدة الحظ، أى خوف فى ذلك.
أخشى أن يقودنى هذا العشق
فى نهاية الأمر إلى حُجُب التراب.
لقد ملأت خلوتى الخالية والصامتة
بالذكريات أيها الرجل،
وشِعرى هو شعلة أحاسيسى ومشاعرى،
لقد جعلتنى شاعرة أيها الرجل.

تجلت نار العشق فى عينيك لحظة ؛

ثم تحولت إلى سراب ،

وما أن رآنى متيمة ومضطربة ،

حتى سقطت الصورة وأصْبَحَت بلا جدوى .

كان الأمل يحدونى فى أن

يقبلنى رجل قبلة تهبنى الحياة ؛

فوهبتنى القبلة فوق شفتى الحياة .

رأيتك ، ولكن واحسرتاه على هذه الرؤية .

أنت مجرد صدر أضع رأسى عليه ،

أنت مجرد حِجْر أذرف دموعى عليه ،

آه . . يا من لا تحزن بسبب عشقك ولا تغتم ؛

إننى أحسدك وأحسد قلبك .

وأخيراً تلقى بزجاجة الأمل

على الأرض وتكسرها ،

إنك مغرور بشدة ، وأنت تخمد

النار الخالدة فى قلبى .

عين على الطريق

لى رغبة فى القلب
تحرق الروح وتضعفها،
عندما تطلب ذلك الرجل صاحب النزوات
فى كل لحظة بحزن ودموع وأنين.

أقسم بالله أنه لا يوجد فى قلبى وروحى
أى شىء سوى الحسرة من لقائه،
لقد احترقتُ من الغم فمتى يكون
حزنى سببًا فى عذابه وآلامه؟

الليل غارق فى الظلمات،
وعندما يأتى القمر محاطًا بهالة الأسرار،

أَنظُرُ بعين قلقة إلى الطريق؛
لعل ذلك الغائب يعود من جديد.

وبمجرد أن يقع ظلٌ على الباب
أجرى خائفةً نحو الباب،
وعندما يمضى الظلُ مسرعًا،
أحملق من جديد فى الباب.

وتبحث روحى عن ذلك الغائب
طوال الليل وسط هذا الفراش،
ويقول لى العقل المندهش الحائر
بسبب هذا السعى الذى لا فائدة منه.
أيتها المرأة سيئة الحظ كسيرة القلب،
أبعديه عن فكرك لحظة،
لقد أخطأتِ عندما أتحتِ لقلب
ذلك العاشق الشرس الفرصة.

لكن هذه القصة التى يحكيها
كيف تجد السبيل إلى أذنى بسهولة ،
إن أى حيلة من حِيَلِه
لن تطفئ نار حسرتى

سأذهب حتى أجعل سر هذه
الرغبة الجامحة عيانًا ،
إننى لا أستطيع أن أمحو من الذاكرة
ذلك الرجل صاحب النزوات مطلقًا .

أيتها الشمعة ، أيتها الشمعة ، لماذا تضحكين ؟
فى ليل سكوتى المظلم ،
والله لقد متُّ من هذه الحسرة ؛
فلماذا هو غير موجود بين أحضانى ؟ !

المرآة المحطمة

بالأمس وعلى ذكراك وفى ذكرى ذلك العشق المفرح البهيج ،
ارتديت قميصًا أخضر اللون ،
ونظرت فى دهشة من جديد إلى وجهى فى المرآة ،
وحللت ببطء الرباط المعقود على أطراف جدائلى .

وأَحْضَرْتُ العطر ونثرتُ منه على رأسى وصدرى ،
وكَحَّلْتُ عينى بكل غنج ودلال ،
وبعثرت جدائلى فوق كتفى ،
ووضعت برقةٍ خالاً فى زاوية شفتى .

وقلت لنفسى حينذاك : مائة حسرة على أنه غير موجود
حتى يُذْهَلَ من كل هذا السحر والدلال ،

وعندما يرى القميص الأخضر فوق جسدى
يقول مبتسماً : كم أصبحت جميلة من جديد .

هو ليس موجوداً حتى يتأمل إنسانَ عينى الأسود ،
ويرى فيه صورة وجهه ،
وماذا تفيدنى الليلة هذه الجدائل المبعثرة ؛
إذا لم تطرق يده باب ذلك المنزل .

هو ليس موجوداً حتى يتنسم عطر جسدى
المحبب إلى نفسه والمثير عندما يرتمى بين أحضانى ،
أيتها المرأة لقد متُّ من هذه الحسرة والأسى ،
هو ليس موجوداً حتى يضمنى إلى صدره ويضغط على جسدى .
أخذت أحملق فى المرآة وهى تنصت لى ،
قلت : كيف تحلين هذه المشكلة ؟
تحطمت .. وصرخت قائلة : كيف أشرح
ما بى من حزن أيتها المرأة ؟ لقد حَطَّمْتِ قلوبَنا .

الرجـوع

بسبب الرسالة التى أعطيتها لى وتلك الشكاوى المرة
لم يغمض لى جفن حتى منتصف الليل وأنا أفكر فيك ،
يا كل أملى ، يا ملجئى وملاذى البعيد ،
لا تتألم مما ينطوى عليه شِعرى ويخفيه .

ربما لم تكن لدى القدرة على إخفاء
مشاعر قلبى الصغير فى الصمت ،
دع أنشودتى تبوح بأسرارى ،
دعنى أفصح وأعلن عن كل ما أخفيه .

كلما نظرت إلى الماضى تذكرتُ
عشقى وكأنه شمس قد غابت ،

وأبكي بسبب قلبي الغارق في الدماء
فماذا أعطاني هذا الشعر سوى عذابات حبيبي.

كيف يمكنني إخفاء هذه الآلام،
في تلك اللحظة التي توجس فيها قلبي خيفة منك بشدة،
إن هذه الأشعار التي آلمت روحك،
إنما هي صرخات قلب حزين.

قلتُ: القفص، ولكن ماذا أقول
ولم أكن أعلم شيئًا قبل ذلك عن نفاق الناس وريائهم،
واحسرتاه على هذه الدنيا الخادعة المتلونة
التي خطفتني ببريقها ورونقها في النهاية.
والآن وقد تعبت من شِباك الخداع والمكر،
اتجهت مرة أخرى صوب ركن بالقفص،
افتح الباب ... فأنا لم أكن سعيدة طوال عمري
سوى خلف قضبان القفص.

وقَيِّد أقدامى من جديد بالسلاسل

حتى لا تنتشر الفتنة والخديعة من مكانى،

وحتى لا تقيد اليد الحديدية للرغبات المتعددة

أقدامى من جديد بقيود أخرى.

المريض

طفل مريض نائم بين ذراعى،

بوجنتين محمومتين .. محمومتين،

وبخصلات شعر مضطربة،

لم يهدأ من الألم حتى منتصف الليل.

ترتعد كل لحظة بين يدى

أصابعه الرقيقة الساخنة،

وأنا أبكى وأتضرع إلى الله

قائلة : إلهى خذ روحى وخفف عنه آلامه.

وأحيانًا وسط الخوف من الوحدة وقلقها

أسأل نفسى ماذا ستكون نهايته؛

وتنساب الدموع فوق خَدَّىَّ
عندما أسمع اسمه من تضرعى وبكائى.

أيتها النجوم المشغولة بالمشاهدة والفرجة؛
إن هذا هو طفلى المريض،
وأنا لم أنم حتى وقت السَحَر،
وأنتم تشاهدون بأنفسكم عينى اليقظة الساهرة.

لقد تذكرت عندما كان يطلب منى قبلة،
وهو يضحك ضحكات مبهجة منتشية،
أو عندما كان يجلس بنظرة متسرعة متعجلة،
فى انتظار تناول طعام الإفطار.
وأحيانًا يصل صوته إلى مسامعى وهو يقول:
"ماما"؛ فيحترق قلبى من شدة الألم،
وأنا أرى طفلاً يحترق وسط نيران الحمى
فوق فراش الاضطراب والقلق.

الليل ساكن وهو يئن بين يدى،

ويتألم من شدة المرض،

بينما تضحك من اضطرابى وخوفى،

دَقات ساعة الحائط الوحيدة.

سـري

ليس لى شأن آخر سوى الحسرة،
ولسوء الحظ فقد صار حبيبى غريبًا عنى.
لقد قيدوا أقدامى بالسلاسل بدون ذنب أو جريرة،
آه من سجنى الملىء بالحن هذا.

آه من هذه العين التى تبحث فى الخفاء
فى عينى ليلاً ونهاراً عن سرى،
وتضع آذانها على الباب حتى تستمع
ربما لصوتى الخافت ذلك.

وأحيانًا يسأل حبيبى من أى شىء يكون حزنك،
ولأى سبب اضطرب فكرك فى نهاية الأمر،

لا تخفى هذا السر بدون سبب ؛
فألم الخرس نائم فى نظرتك .

أحيانًا يبكى ويصيح لدى الآخرين قائلاً :
إنها ليست فتاة الأمس تلك ،
آه من شفتى الغضة المبتسمة تلك ،
إن هذه المرأة ليست جامدة غامضة .

وأحيانًا يقول : أين ، ماذا حدث فى النهاية ؟
إن نظرتك الثملة والخادعة ،
وتلك الابتسامة المفرحة والدافئة ،
لم تظهر على شفتيك المحمومتين .
إننى أرمقه بعين زائغة ،
وأئن بدون صوت ، هذا ما هو كائن .
وأنا نفسى لا أعلم ما هو سبب حزنى ،
وأهمس قائلة : ما أجمل أن أكون قد ضعت .

لا يوجد وفاق معه حتى أقول له،

إن سر حزنى المخيف هذا،

اننى آذيت نفسى بنفسى،

ولا شك أن أحدًا لم يفعل مطلقًا مثلما فعلت.

هذا الحزن الذى يغلب على روحى هو منّى،

لم يعد هناك حل لما فعلته بنفسى،

وأبكى والأغلال فى قدمى،

ولا ألفة لى مع الأغلال على الإطلاق.

آه.. هذا هو ما تبحث عنه بشغف،

إن سرى هو سر امرأة مجنونة الطبع،

سر مخلوقة لم يكن يدور بخلدها

ذرة من الولع بالسمعة الحسنة والمكانة.

إنه سر المخلوقة التى لم تعد شيئًا

سوى مخلوقة منفرة لك،

آه... إن هذا هو ما يؤلمنى

وإلا، فمتى أخشى غضبك وفراقك.

الفتاة والربيع

جلست الفتاة بجوار النافذة وحيدة وقالت :
يا فتاة الربيع إننى أحسدك ،
والله إننى أشترى منك عطرك ووردك وأغانيك ونشوتك
مع كل طالب .

وعلى غصن شجرة يافعة برعمة ،
كانت تفتح عينيها المغمضتين بدلال ،
وكانت تغسل شعر رأسها بمياه فضية اللون ،
وكذلك تلك الأجنحة الرقيقة الجميلة المتعبة .

ضحكت الشمس وسرى من أمواج ضحكتها
نور مبهج فوق وجه النهار ؛

وزحفت موجة خفيفة ونسمة إلى مسامعه،
وأَنْشَدَتْ سِراً ففرت الموجة من أمامها فى خفة.

ضحك البستانى قائلاً: لقد حل الربيع أخيراً،
وازدهرت الشجرة التى غرستُها؛
فسمعت الفتاة ذلك وقالت: ما الفائدة من هذا الربيع؛
فكم من فصول ربيع لم تكن ربيعاً بالنسبة لى.

وكأن الشمس كانت قد جلست في تلك الناحية من السماء
وسط مجمر من الدم وهى عطشى،
وكان النهار يمضى، وكانت الفتاة جالسة بجوار النافذة
حزينة وهى حائرة فى فكر غريب.

البيت المهجور

أعلم الآن أن فرحة الحياة
قد هجرت ذلك المنزل البعيد ،
أعلم الآن أن طفلاً أخذ ينتحب
حزنًا على فراق أمه .

وتمر سريعًا فى خيالى كل وقت
صورة لفراش خال وبارد ،
صورة اليد التى تبحث يائسة
عن جسد بحزن وألم .

وأرى هناك بجوار المدفأة
ظل قامة ضعيفة مرتعشة ،

وظل ساعدين كأنهما ودعا
الحياة بسهولة.

وهناك - بعيدا - طفل نائم حزين
بين أحضان مربية متعبة عجوز،
وقد انقلب فنجان من اللبن
فوق رسوم زهور السجادة.

النافذة مفتوحة وفى ظلالها
مال لون الورود إلى الاصفرار،
وانسدلت الستائر على أكتاف الباب،
ونضب ماء الزهرية.
وأخذت قطة تخطو بخطوات بطيئة متثاقلة،
بعيون باردة لا يشع منها الضوء،
والشمعة فى آخر شعلة لها
تتجه إلى العدم والفناء.

أعلم الآن أن بهجة الحياة

قد هجرت ذلك المنزل البعيد ،

أعلم الآن أن طفلاً أخذ ينتحب

حزنًا على فراق أمه .

لكننى سوف أودع طريق الأمل ؛

فأنا متعبة الروح .. مضطربة ،

وحبيبى هو الشعر ، وسلوتى هى الشعر ،

وسوف أذهب حتى أحصل عليه وأناله .

وجهًا لوجه مع الله

من غيابة سجن الظلمة ،
من مستنقع هذه الدنيا المظلم ،
استمع إلى صوتى المليء بالتضرع ،
آه . . يا إلهى القادر الذى لا مثيل له .

شُقَّ تراب جسدى لحظة ،
مزّق هذا الحجاب الأسود ،
فربما ترى داخل صدرى
الدافع لكل هذا الإثم والفساد .

هذا القلب الذى منحته لى ليس قلبًا ؛
فخلصه ، إنه يخفق فى دماء الآهات ،

فإما أن تجعله خاليًا من الهوى والولع،
وإما أن تقيده بقيد المحبة والوفاء.

أنت وحدك المطلع العليم
بأسرار ذلك الخطأ الأول،
وأنت وحدك القادر على العفو والمغفرة،
وأن تعيد لروحي صفاءها القديم.

آه.. يا إلهى كيف أقول لك،
إننى تعبت من جسدى وكرهته،
وكأننى فى كل ليلة أتمنى جسدًا آخر
وأنا على أعتاب جلالك.
انزع من عينى اللامعتين
الشوق للسعى إلى شخص آخر،
وامنن عليّ يا إلهى وعلِّمها
تَجنُّبَ عيون الآخرين الصاعقة.

هَبْ لى عشقًا يجعلنى

كملائكة جِنانك،

وساعدنى أن أرى فيه

زاوية من صفاء فطرتك.

امْحُ من على لوح خاطرى ليلة

صورة العشق ورسمه الخادع؛

فإننى أريد بالانتقام من الظالم

انتصار منافسه فى عشق جديد.

آه.. يا إلهى يا من تكون يد قدرتك

هى التى وضعت أساس عالم الوجود؛

تَجَلَّ لى وانزع من قلبى

الشوق إلى الإثم وحب الذات.

ولا ترضَ بأن يعصيك عبد تافه ،

وأن يولى وجهه شطر غيرك ،

ولا تسمح له بأن تنهمر دموعه

داخل كأس الخمر .

من غيابة سجن الظلمة ،

من مستنقع هذه الدنيا المظلم ،

استمع إلى صوتى الملىء بالتضرع ،

آه . . يا إلهى القادر الذى لا شبيه له .

أيتها النجوم

أيتها النجوم يا من جلست فى أعلى السماء،
وأنت تطلين علينا بنظراتك،
أيتها النجوم يا من جلست وراء السحب
تراقبين عالمنا.

نعم.. ها أنذا أمزق رسائل العشق
فى قلب سكون الليل،
أيتها النجوم لو أنك تساعديننى
لملأت حاشية ثيابى بالنجوم من الحزن عليه.

مع القلب الذى لم يحمل نفحة من الوفاء،
يكون الظلم الذى لا حدود له والعُذْر أجمل،

وبجانب هؤلاء الأصحاب المغرورين،

يكون الغنج والدلال الذكى أطيب.

أيتها النجوم.. ماذا حدث حتى مات

ذلك المرح وتلك الأنغام والأغانى فى نظرتى،

أيتها النجوم ماذا حدث حتى ماتت أخيراً

نغمات العشق الدافئة تلك فوق شفتيه،

لقد انقلب كأس الخمر وأصبح فراشى خاليًا،

ووضعت رأسى فوق رسائله؛

وضعت رأسى عَلّنى أجد بين هذه السطور

دليلاً على وفائه.

أيتها النجوم هل أنت مطلعة أيضًا

على نفاق سكان الأرض وجفائهم،

ولهذا السبب اختفيت هكذا فى قلب السماء

يا أيتها النجوم، يا أيتها النجوم الطيبة الطاهرة.

أنا من تجاهلت كل ما هو موجود وكل ما هو ليس موجوداً؛

حتى أبيح له كل ما يرغب فيه من عشقي،

فلتنزل لعنة الله عليَّ من الآن فصاعداً

إذا أنا تعاملت بغير الجفاء مع العشاق الأوفياء.

أيتها النجوم التي تشبه قطرات الدموع،

يا من وضعت رأسك على حاشية الليل السوداء،

أيتها النجوم يا من فتحت كوة من ذلك العالم الخالد

صوب هذا العالم.

لقد رحل، لكن حبه لا يفارق قلبي،

أيتها النجوم، ماذا حدث حتى أنه لم يعد يطلبني؟

أيتها النجوم، أيتها النجوم، أيتها النجوم

أين تكون إذن ديار العشاق الخالدين؟

خاتم الزواج

قالت الفتاة وهى تضحك : ما هو
سر هذا الخاتم الذهبى ؛
سر هذا الخاتم الذى يحيط بإصبعى
فى إحكام هكذا ؟

سر هذا الخاتم الذى يشع منه
كل هذا البريق واللمعان ،
تحير الرجل، وقال :
إنه خاتم السعادة ، إنه خاتم الحياة .

قال الجميع : ليكن مباركًا .
قالت الفتاة : وا أسفاه ما زال عندى

شك فى معناه.

ومرت الأيام والليالى.

نظرت السيدة فى برود لذلك الخاتم،

ورأت فى رسومه البراقة

أن الأيام التى قضتها على أمل وفاء الزوج

قد ذهبت هدراً، وبلا طائل.

واضطربت المرأة وبكت وصاحت قائلة: آه

آه، إن هذا الخاتم الذى يشع

منه هذا البريق واللمعان،

ما هو إلا قيد العبودية والخضوع.

صبر الحجر

في اليوم الأول قلت في نفسى
سوف لا أراه مرة أخرى مطلقًا ،
وفى اليوم الثانى كررت نفس القول
ولكن بحزن وتردد .

ومر اليوم الثالث على هذا النحو ،
إلا أننى كنت على عهدى باقية ،
وكانت ظلمة السجن تقتلنى ،
وكنت سجانة لنفسى من جديد .

أنا تلك المجنونة العاصية ،
التى كان يهتف بداخلها ،

وكان يدق فوق الجدران بقبضة يده
باحثًا عن كوة فيها.

لقد كان يشق طريقه فى داخلى
كروح تحلق فى أحد الأروقة،
ويلقى بظلاله على داخلى
كما تمطر السحب فوق الصحراء.

وسمعت أثناء نومى عند منتصف الليل
صوت بكائه المرتفع،
وكنت أنصت إلى ألم صوته
الذى انساب فى صوتى.

فدعوته إلىّ على استحياء (وقلت له):
لأى سبب يكون بكاؤك الذى لا طائل منه؟
فأخذ يصيح خلال بكائه (قائلاً):

إننى أحبها، ألا تعلمى ذلك.

وكان صوته، ذلك الصوت المرتعش

الذى يتردد من عالم بعيد،

لكن بمجرد أن أخذ يتردد فىّ

كأن ميتًا قد هب واقفًا من قبره.

ميتًا يتساقط من جسده

عطر مثير من عبير الليل،

وكان قلبى يخفق فى صدرى

مثل قلب وليد الغزال.

وأخذ يتقدم فى الظلام،

وكان جسده من ذرات الظلمة.

وعندما اقترب منى أكثر،

كانت ورطة اللذة المظلمة.

وجلست متعبة فى الفراش،

أحملق فى عيون الرؤى والأحلام،

وأخذ زورق فكرى يتهادى

برفق متجاوزًا حدود العوالم.

ومن جديد كانت الصورة المغبرة

لتلك الليلة القصيرة، ليلة الميعاد

من تلك الغرفة التى يغمرها الصمت،

وتملؤها أنواع السعادة بدون أساس.

وفى الظلام كانت يداى تتفتح وتنبض بالحياة

من الإحساس بيديه،

وكانت صورة ارتباكى وحيرتى،

وكانت عيناه تفوح بِرائحة الغم والأحزان .

إن جذورنا فى الظلمة ،

وقلوبنا هى فاكهة النور،

وقد أشبع أحدنا الآخر ،

مع ربيع البساتين النائية البعيدة .

وجلست متعبة فى الفراش ،

أحملق فى عيون الرؤى والأحلام،

وأخذ زورق فكرى يتهادى ،

برفق عابراً حدود العوالم .

ومرت الأيام ، وأنا لم أعد

أعرف من أكون ،

أأنا تلك المغرورة بشدة ،

أم أنا المغلوبة منذ زمن سحيق؟

سوف أصرف النظر عن هذا،

إذا كنت سأتحمل هذا الحزن من جديد،

بسبب هذا العهد.

وسوف أجلس، فربما يأتى هو

لزيارتى ذات يوم فى نهاية الأمر.

بسبب الحب

تتساقط الليلة من سماء عينيك
النجوم فوق شِعرى،
وتنزرع يدى الشرر
فى صمت الأوراق البيضاء.

إن شِعْرى المجنون المحموم
خجول من حرث الرغبات وزراعتها،
ويحرق كيانه مرة ثانية
متعطشاً للنيران الخالدة.

نعم، إنها بداية الحب،
رغم أن نهاية الطريق غير ظاهرة،

وأنا لم أعد أفكر في النهاية؛
لأن الحب في حد ذاته يكون جميلاً.

لماذا يكون الحذر من السواد؛
فالليل مليء بقطرات الماس،
وما يتبقى من الليل
هو أريج زهرة الياسمين المُسْكِر.

آه.. دعني أذوب فيك وأختفي،
ولا يعثر أحد على أثر لي،
وتَهُبُّ آهاتك الندية الحارقة للروح
على جسد أنشودتي.

آه.. دعني أسافر بأجنحة الضياء،
وأنطلق من هذه النافذة المفتوحة
القابعة في ديباج الرؤى والأحلام،

حتى أتجاوز قلاع العوالم وأبراجها .

هل تعلم ماذا أريد من الحياة

أريد أن أكون أنا أنت ، أنت من رأسك إلى أخمص قدميك ،

ولو كانت الحياة ألف مرة

فأنت مرة أخرى ، أنت مرة أخرى .

إن ما يختفي في داخلي بحر ؛

فكيف يمكنني إخفاء هذا ،

يا ليتني أقدر على الحديث معك

عن هذا الإعصار الرهيب .

كفى ، فأنا ممتلئة منك وأريد

أن أركض وسط الصحارى ،

وأدق رأسي بأحجار الجبال ،

وأضرب جسدى بأمواج البحار.
كفى، فأنا ممتلئة منك، وأريد
أن أتداعى وأنهار كالغبار
وأضع رأسى بهدوء تحت أقدامك،
وأتعلق بظلك بخفة.

نعم، إنها بداية الحب؛
رغم أن نهاية الطريق غير ظاهرة،
وأنا لم أعد أفكر فى النهاية؛
لأن الحب فى حد ذاته يكون جميلاً.

صوت فى الليل

عند منتصف الليل وفى قلب الدهليز الهادئ،

دَوَّى صوت وقع أقدام؛

فامتلأ قلبى من ندى اليقين المرتعش.

مثل قلب زهور الربيع،

وقلت إنه هو الذى عاد.

قفزت من مكانى ونظرت إلى نفسى

بنظرة كلها شوق فى مرآة الحيرة،

آه.. لقد ارتعدت شفتاى من العشق؛

فأظلم وجه المرآة من آهاتى،

ربما كانت تمعن النظر فى وهم.

كانت خصلات شعرى مبعثرة مضطربة وشفتاى جافتين،
وكتفى عاريًا فى ملابس النوم،
لكن فى ظلمة الدهليز الهادئ،
كان يسرع المار الخطا كل لحظة،
ولاذت أنفاسى بالصمت فى صدرى.

وكأن روح النسيم قد رأت من النوافذ
حزنى فقط،
فَنَثَرت على خصلات شعرى المضطربة
عطر زهور شجرة السنط النفاذ،
فأسرعت نحو الباب مهرولة.

وكان وقع الأقدام، فى صدرى
كصدى صوت الناى فى قلب الصحراء.
لكن فى ظلمة الدهليز الهادئ،
تَسَارع وقع الأقدام ومضى،
وأخذت الريح تهب بصوت حزين.

الصورة الخفية

عجبا أيها الرجل الذى أحرقت

شفتىّ بنيران قبلاتك ؛

ألم تقرأ أبدًا فى أعماق عينىّ الصامتتين

سر هذا الجنون ؟

ألم تدرِ مطلقًا مطلقًا أننى أخفيت فى قلبى

صورة من عشقك ؟

ألم تعلم مطلقًا أن هذا العشق الخفى ؛

ليس إلا نارًا تحرق روحى ؟

لقد قالوا إن هذه المرأة امرأة مجنونة ،

لأنها تسلم شفتيها للقبل بسهولة ،

نعم، ولكن القبلة من شفتيك،
تحيي شفتيّ الميتتين.

لم يَدُر الاسم والسمعة الحسنة بخلدى مطلقًا،
فأنا من أبحث عنك هكذا برغبتى،
وأريد خلوة معك وفى أحضانك،
وأريد خلوة معك ومع شفاه الكأس.

إنها فرصة كى تكون بعيداً عن أعين الآخرين،
وأعطيك كأسًا من خمر الوجود،
أريد فراشًا من الزهور الحمراء،
حتى أجعلك ثملاً هناك ليلة.

عجبا أيها الرجل الذى أحرقت
شفتى بنيران قبلاتك،
هذا كتاب لا نهاية له وأنت
لم تقرأ إلا صفحة قصيرة منه.

من ديوان "الجدار"

الرؤيـــا

بأمل دافئ ومفرح،

وبنظرة ناعسة حالمة،

تحكى الفتاة الصغيرة حكاية

عند منتصف الليل وفى زاوية الوحدة

لا شك أن أميراً مغروراً

سوف يصل ذات يوم من طريق بعيد،

تدق حوافر دابته السريعة السير

أرضية أزقة المدينة الحجرية،

وتتلألأ أشعة الشمس

فوق تاجه البديع.

خيوط نسيج ملابسه من الذهب ،

وصدره مغطى بأربطة مرصعة بالدر والجوهر ،

وتلعب الريح فى كل وقت بريش قبعته

من كل جانب ،

أو بطرة شعره الأسود

فوق جبهته المضيئة .

ويتهامس الناس بقولهم

"آه . . عجباً لما يتمتع به من كبرياء وعظمة وقوة"

"إنه فريد فى العالم"

"لا شك أنه أمير عالى القدر" .

وتطل الفتيات برؤوسهن من خلف النوافذ ،

وقد احمرت وجناتهن خجلا من هذا المنظر ،

وارتعشت صدورهن واشتد اضطرابها ،

وأخذت تنبض من الشوق لفكرة ما ، وهى :

"ربما يطلبنى"

ولكن كأن عين الأمير الجميلة

لا ترى عيونهن المشتاقة ،

ولا يقطف أيضًا ورقة خضراء

من هذه الروضة المليئة بالعطور،

وهكذا يسير فى طريقه مسرورًا

هادئًا مطمئنًا ،

وتدق حوافر دابته السريعة السير

أرضية أزقة المدينة الحجرية،

ومقصده هو منزل محبوبته الجميلة.

ويسأل الناس بعضهم البعض فى هدوء

"ياترى من تكون هذه الفتاة المحظوظة ؟"

وفجأة يتردد صوت الباب داخل المنزل

وأطير فرحة ناحية الباب

إنه هو .. نعم .. إنه هو.

آه، أيها الأمير، يا محبوب الرؤيا

كنت أرى في النوم في منتصف الليالي أنك ستأتي؛

فيضحك في هدوء هامسًا كطفل،

وبنظرة يملؤها الدفء ويغمرها الشوق

ويسد الطريق أمام نظراتي، قائلاً:

"يا من تكون عيناك طريقًا مضيئًا نحو مدينة الجمال،

يا من تكون نظرتك خمراً في كأس لازوردية،

آه .. اسرعي يا من تكون شفتاك بلون حمرة

الشقائق الصحراوية جميلة اللون؛

فالطريق بعيد جداً

ولكن في نهاية هذا الطريق .. قصر مليء بالنور".

وأضع قدمي في ركاب مركبه في صمت،

وأزحف في ظل ذلك الصدر وذلك الحضن،

وأصاب بالذهول.

ومرة أخرى تدق حوافر دابته السريعة السير

أرضية أزقة المدينة الحجرية ،

وتتلألأ أشعة الشمس

فوق تاجه البديع .

وأرحل معه من هذه المدينة الحزينة ،

ويتهامس الناس فيما بينهم وعيونهم حائرة ،

ويقولون : "يا لها من فتاة محظوظة" .

أغنية الألم

إنك بداخلي، ولكنك منفصل عني تمامًا،
وأنت معي وعيناك ترنو إلى غيري،
لم يعد لي هناك من سبيل للحوار معك،
بينما أنت تجلس مشغولاً بالحديث مع غيري.

إن قلبي الغارق في الأحزان يرتجف في صدري،
ولا يقر له قراراً معك أو بدونك.
آه من تلك اللحظة التي لا تدري فيها شيئًا عني،
عندما تحزم أمتعتك وترحل من هذه الديار.

إنني ظِلُّك حيثما ذهبت،
وقد وضعت رأسي تحت أقدامك،

وأنا لم أبحث حتى الآن فى العالم عن شخص مثلك،
حتى أصطفيه بدلاً منك.

إنك سرورى وحزنى، وفى حيرتى
أريد منك ... أريد أن أحتمى بك،
أنا وأمواج خوفى التى لا تدرى شيئًا عنى،
لقد أصبحتُ أسيرة جذبات القمر.

قلتَ: إننى سوف أنفصل عنكِ ... ياللحزن والألم،
هل حبل الوفاء قابل للقطع؟
من الممكن أن أنفصل عن نفسى ولا أنفصل عنك،
هل عهد العشاق يقبل النقض؟
رأيتك ذات ليلة فى الرؤيا وكنت سعيدة،
عجبًا ألا أراك إلا فى الأحلام والرؤى،
إنك لست برعمًا حتى أنهض وأنا ثملة من العشق
وأقطفك من على الأغصان.

إن نيران عينيك الزرقاء

تتوهج فى ظلمة ليلى،

فلا تسد الطريق ... بل اصطحبنى بشوق

إلى بيت أحزانك الخفية الصغير.

التائهة

وا أسفاه لم أعد أصدق أننى صرت عاقلة
بعد تلك الأفعال الجنونية ،
وكأنه قد مات فىّ ،
وأصبحت متعبة وصامتة وبدون فائدة .

وأسأل المرآة كل لحظة فى حالة من الملل
من أكون أنا ، وماذا أكون فى نظرك ؟
لكننى أرى فى المرآة .. ويا للأسف
أننى لست ظلاً أيضاً لما كنته .

مثل تلك الراقصة الهندية ؛
أرقص بدلال .. ولكن فوق قبرى .

آه ويا مائة حسرة فقد مَنَحْتُ
هذه الخرائب ضياءً من نورى.

إننى لا أبحث عن الطريق المؤدى إلى مدينة النهار،
فلا شك أننى قد رقدت فى قاع قبر ،
وعندى جواهر ، ولكننى أخفيتها
فى قاع المستنقعات من الخوف .

أسير .. ولكننى لا أسأل نفسى
أين الطريق .. ؟ أين المنزل ؟ ما هو المقصود ؟
وأهب القبلات ، غير أنى غافلة
لمن يكون هذا القلب المجنون معبوداً .
عندما مات "هو" فىّ ، تحول فجأة
كل ما كان إلى حالة أخرى فى نظرى
وكأن الليل قد احتضن روحى الضعيفة
بيديه الباردتين .

آه .. نعم .. هذه هى أنا .. ولكن ما الفائدة

و"هو" الذى كان فىّ ، لم يعد موجوداً ،

وأصرخ فى همهمة كالمجنونة

"هو" الذى كان بداخلى ، من يكون فى النهاية ، من يكون ؟

عاشقة الحزن

ليتني كنت كالخريف ... ليتني كنت كالخريف،

ليتني كنت كالخريف صامتة ومثيرة للملل،

وقد اصفرت أوراق أمانيّ واحدة تلو الأخرى،

وفقدت شمس عيني حرارتها،

وأطبق طوفان الحزن بقبضته فجأة على روحي،

وصبغت دموعي المنهمرة كالمطر

حاشية ثوبي.

عجبًا ... ما كان أجمل لو كنت خريفًا

وكنت متوحشة ومليئة بالفتنة ومتعددة الألوان،

ويقرأ شاعر في عيني ... شعرًا سماويًا،

ويشتعل بجانبي قلب عاشق،

بِشَرَرِ نيران آلام خفية .

ويكون غنائى

كصوت نسيم ملىء بالانكسار،

يصب عطر الأحزان على القلوب المتعبة .

وأمامى :

وجه شتاء الشباب المر .

وخلفى :

فتنة واضطراب صيف العشق الفجائى .

وصدرى :

مقر الحزن والألم وسوء الظن .

ليتنى كنت كالخريف ... ليتنى كنت كالخريف .

الأمنيــة

ليتنى كنت عطراً غامضًا لنبات

على شاطئ نهر هادئ،

وعندما تمر من هناك

ألثم بشفتى جسدك كله من الرأس حتى القدمين.

ليتنى كنت مثل ناى راعى الغنم،

أعزف لحن قلبك المجنون،

النائم فوق هودج النسيم المتمايل،

وكنت أمر على باب دارك.

ليتنى كنت كأشعة شمس الربيع،

وأسطع عند الفجر من النافذة،

من خلف ستائر حريرية مهتزة،
وكنت أرى لون عينيك.

ليتنى كنت ضحكة كأس خمر
فى حفلك المتألق المضىء،
ليتنى كنت حُلماً فى منتصف ليلة
مؤلمة مليئة بالوهن والسُكْر.

ليت قلبى قد أضاء كالمرآة
من هيئتك وضحكتك،
وتحركت حرارة يدك الملاطفة
على جسدى كل صباح.

ليت القمر كان يشاهد
رقصى فى منتصف الليل،

كما تتراقص أوراق الخريف
فى قلب حديقة منزلى،
ويثير جمالى ضجيجًا وجلبة.

ليتنى تسللت إلى قلبك المشوش المضطرب
كذكرى مفرحة لامرأة،
ورأيت عينيك فجأة
وهى مندهشة من تجلى جمالها.

ليت جسدى قد أشعل شموع الإثم
فى فراش وحدتك،
وأحرق جذور زهدك وحسرتى،
من هذا الجرم الحلو.

ليتك قطفت زهور أحزانى
من على أغصان الحياة الخضراء النضرة،
ليتك رأيت فى شعرى - يا كل عمرى -
شعلة أسرارى.

فجر العشق

السماء كصفحة قلبى

صافية من بريق ضوء القمر،

وأنا أهرب الليلة من النوم الجميل،

لأن تصورك أجمل من الاستغراق فى النوم.

أزحف فى سكون فراشى،

وأنا أحملق فى ظلال أشجار الصفصاف البرية،

ثم أضع رأسى على دفترى ،

عقب نغمة مرغوبة.

يرقص الجسد على مائة لحن

يصدر من صوتى البللورى اللطيف،

وتجرى فى عروقى كالدم لذة مجهولة
ورؤى ملونة.

آه .. لكأن مضراب قلبى
قد مر على روح القمر حارس الليل،
أو أن نسيمًا قد بلل حاشيته
بعطر الياسمين فى هذا الطريق المهجور.

وتتوهج على شفتى شعلات قبلتك،
مثلما تتفتح شقائق الرغبة الجامحة.
وفى تصورى يتلألأ نجم ملىء بالنور،
وسط هالة من الأسرار.
ويعزف مجهول بأنامله داخل صدرى
على الصنج والعود،
وكأن رائحة العود تفوح
مصاحبة لنغماته الموزونة الرتيبة.

آه .. إننى لا أصدق أن تكون
لى علاقة معك على هذا النحو ،
وأن تكون نظرة هاتين العينين الفاتنتين
تجاهى دافئة ومؤثرة.

لا شك أن كوكب الزهرة قد رمقنى
بعين العشق من عالم الرؤى ذلك ،
وسوف أكتب فى دفترى
"فلتكن خالداً يافجر العشق" .

ذكرى نهار

كنا نائمين وزحفت أشعة الشمس
فوق جسدينا بنعومة ورقة،
وأزالت يد النور ظلالنا فى عجلة
من فوق قيشانى الشرفة.

لم يكن لأمواج الأفق الملونة نهاية،
وكانت السماء مغمورة بعطر النهار،
وكأن حرير السحب قد ألقى حولنا
ستائر نيلوفرية اللون.

قال بهدوء وبروح مرهقة "أحبك"،
ثم مر على شفتى من جديد،

لكن كأن صوتى قد ضاع
فى هدوء منتصف النهار بسبب شىء غير مُجدٍ.

فتوسلت قائلة : أيتها الشمس ... أيتها الشمس
لا تشرقى مرة ثانية على الزهرة الجافة اليابسة،
لقد كنا فى حالة عطش شديد
وخَدَعَنا كالسراب فى صحراء الدنيا.

وزَحَفَتْ إلى خطوط وجهه فجأة
ظلال حسرته الخفية،
وتشبثت الشمس بخصلات شعرى،
وتحركت السماء فى عينيه.

آه .. ليت هذه اللحظة لم تكن لها نهاية؛
فقد عانينا من أحزان المحو والافتضاح،
ليتنا امتزجنا بالشمس،
ليتنا أصبحنا بنفس لون الآفاق.

حزن الوحدة

تتساقط الثلوج من خلف زجاج النافذة
تتساقط الثلوج من خلف زجاج النافذة
ويد تبذر بذرة الحزن
فى سكون صدرى.

أيها الثلج لقد أصبحت فى نهاية الأمر شعراً أبيض
بمجرد أنك رأيت نهايتى على هذا النحو،
وتساقَطْتَ فى قلبى ... ويا للأسف
أنك لم تتساقط على قبرى.

إن روحى ترتعد من برودة الوحدة،
كشجيرة حديثة الغرس،

ويتسلل إلى ظلمة قلبى

الخوف من عالم الوحدة .

لم تعد تمنحنى الدفء

أيها العشق .. يا شمسًا قد تجمدت ،

إن صدرى هو صحراء اليأس

لقد تعبت ، تعبت من العشق أيضًا .

وجفت برعمة شوقك أيضًا ،

أيها الشعر أيها الشيطان المخادع ،

لقد استيقظت روحى فى نهاية الأمر

من هذا الحلم المؤلم .

إلهى .. افتح لى أبواب جهنم

لحظة ،

فإلى متى أخفى فى قلبى

الحسرة على حرارة الجحيم.
لقد شاهدت الشمس كثيراً،
وهى تذبل وتذوى فى تتابع عند الغروب،
أما شمسى التى لا غروب لها،
واحسرتاه لقد تجمدت فى الجنوب.

عمّ أبحث من بعده؟
وماذا أنتظر من بعده؟
دموعًا باردة أنثرها،
أم قبراً دافئ حتى أستريح.

تتساقط الثلوج من خلف زجاج النافذة
تتساقط الثلوج من خلف زجاج النافذة
ويد تبذر بذرة الحزن
فى سكون صدرى.

بُرْعُم الحـــزن

سعيدة أنا عندما أكتوى بنيرانك،

سعيدة أنا عندما أبكى طيفك فى أحلامى،

سعيدة أنا عندما أبكى بَعد وصالك بهذه الكيفية

متأثرة بعشقك الخالد.

لقد ظننت أنه عندما انْقَطَعْتُ عنك،

أننى لن أفكر فى طيفك مرة أخرى،

ولكن ماذا أقول لك، فلا توجد شرارة

أخرى تلهب روحى سوى هذه النيران.

ويضج نهر كارون[1] طوال الليالى عندما أكون بجوار مزارع النخيل

بسبب آلامى ،

وكأن صراخ حسرتى

يصل إلى الأسماع من الأمواج المتعبة .

أجلس ليلة للحظة على شاطئه

حتى ترى ألمى الواضح الظاهر ،

وأنظر ليلة للحظة إلى ظلى

حتى ترى روحى التى لا يقر لها قرار .

أنا أشدو بأغنية من أجلك

بشفتىّ الباردتين من نسيم الصباح ،

فأنا تلك النجمة التى تلمع

كل ليلة فى سماء بيتك .

ليس هناك من حزن إذا شيدت

الصحارى قلاعًا حصينة بينى وبينك ،

فأنا تلك الحمامة التى ترفرف بمفردها

وتحوم فوق عرض البحر.

إننى سعيدة عندما أحترق كغصن

يابس من جديد فى لهيب فراقك،

وكأن جسدى المحموم ما زال

يحترق من شمس مدينتك.

كيف تموت ذكراك فى قلبى،

إن ذكراك هى ذكرى العشق الأول،

إن ذكراك هى ذلك الخريف المفرح

الذى تتجلى فيه آلاف التجليات الملونة.

دع الزهاد ذوى الملابس السوداء

يفضحوننى فى الحى والمحفل،

ويلوثون سمعتى الحسنة بالعار؛

فهؤلاء هم صنيعة الشياطين.

غير أنى أنا برغم الأحزان

الذى ينبت من أغصان ذكراك،

وأبحث عنك الليالى الطوال

فى زاوية الوحدة ، فى ذاكرة من يعرفك.

الجـــدار

مرت اللحظات الباردة بسرعة،
وعيناك المتوحشة فى صمتها
تشيد حولى جداراً،
وسوف أهرب منك فى الطرق الوعرة.

حتى أرى الصحارى فى ضباب القمر،
وأغسل جسدى بماء ينابيع النور،
وأملأ ذيل ثوبى بزهور السوسن الصحراوية
فى الضباب الملون لصباح الصيف الحار،
وأستمع إلى صياح الديكة من فوق
سقف كوخ المُزارِع.

سوف أهرب منك إلى أطراف الصحراء،

وأطأ بقدمي بشدة الأعشاب الخضراء

أو أشرب ندى الأعشاب البارد.

سوف أهرب منك حتى أشاهد

فيضان البحر وإعصاره الباعث على الدوار،

من فوق الصخور المتوارية بين السحب المظلمة،

على ساحل مهجور.

وفي غروب بعيد

أطوى كالحمامات البرية تحت أقدامي

الصحارى، والجبال، والسماوات

وأستمع من داخل النباتات الجافة

إلى نغمات سرور طيور الصحراء.

سوف أهرب منك حتى أفتح طريق
مدينة الأحلام والآمال بعيداً عنك،
وداخل المدينة ...
أفتح قفل قصر الأحلام الذهبى الثقيل.

غير أن عينيك مع صراخ صمتها،
تجعل الطرق مظلمة أمام ناظرى،
كما أنها فى ظلمة سِرِّها،
تشيد جداراً مِن حولى.

فى نهاية يوم من الأيام،
سوف أهرب من خدعة عين التردد،
وسوف أتسرب كالعطر المنساب من زهرة الأحلام الملونة،
وأزحف إلى ساحل الشمس،
فى عالم نائم فى هدوء خالد.

وأتدحرج برفق على فراش السحب الذهبية اللون ،
وتعزف أنامل النور فوق السماء المبتهجة
كثيراً من الألحان العذبة .

ومن هناك أنظر وأنا سعيدة حرة
إلى عالمك الذى تجعل عيناك المليئة بالخداع
طرقه مظلمة أمام عينى ،
أَنْظُر إلى العالم الذى تبنى فيه
عيناكَ المليئة بالخداع فى ظلمة سِرٍّها
جداراً من حولى .

عَطْشى

كنت زهرة

يسرى في عروق كل ورقة من أوراقى المرتعشة

عطر الحسرة والندم الكثير .

لقد نَبَتْتُ وترعرعتُ في ليلة مظلمة ،

وأنا في حالة عطش شديد على ساحل نهر كارون .

وفوق جسدى كانت تتدحرج فقط خمر ندى الشمس ،

أو شفة متأججة للرجل الذى يؤنب

بعينيه الصامتتين - اليد التى كانت

تقطف برعمًا لم يتفتح من فوق كل غصن نَدِيّ .

وجسدى ، نداء الجمال

هو فى صمتى عازف نغمات شفاه الوحدة ،

وعيناى حائرة فى رؤيا مشئومة لبلاد بعيدة ،

الرؤيا التى كان يقول لى فيها النسيم العابر فى أذنى :

"إن لشمسها لونَ فرحٍ آخر" .

وفى النهاية جمعت متاعى من على ساحل نهر كارون

دون أن أدرى ،

وشاهدت فى طريقى العديد من الزهور الذابلة ،

وعيونها نبع جاف لصحراء الأحزان ،

متعطشة لقطرة ندى ،

فضحكت منها بشدة .

حتى ظهر ذات ليلة مصباح مدينة الرؤى والأحلام

من خلف قمر التردد ،

وأنا ترعرعت هناك من الأرض الصلبة

دافئة ممتلئة بالرغبة والأمل،

وعند منتصف الليل غلى دم الشِعر

فى عروقى الباردة،

واختفى لون أحزانى

فى لون كل ورقة من أوراقى.

كنت أنتظر أن تفتح السماء المظلمة

عيون الصباح الفضية أمام وجهى،

حتى أرشف من شفة الشمس المضيئة

الشهد المحرق لآلاف القبلات المحمومة والحلوة،

لكن واحسرتاه ..

لم أشاهد فى نهاية الأمر ضوء الشمس

فى سماء مدينة الرؤى والأحلام.

تئن الشجيرات الجافة تحت قَدَمَىَّ بحزن وألم،

وا أسفاه .. إن وجه شمس مدينتنا مظلم للغاية .

وأعلم جيداً أنه لم يعد هناك بصيص من أمل،

لم يعد هناك بصيص من أمل.

لقد اختفى فى غابة الظلمة الكثيفة

صوت صديقى كشعاع ضوء،

ولن تمطر السماء المظلمة قدامى قطرة دمع

من نظرة السحب المتعبة.

إننى زهرة ذابلة،

وعيونى هى ينبوع صحراء الأحزان الجاف،

عطشى لقبلة من الشمس.

عطشى لقطرة من الندى.

الخوف

الليل حالك الظلمة والطريق طويل وأنا حائرة ،
وقد أَمْسَكَ بالمصباح فى طريقى ،
وعلى شعلة مصباحه المضطربة
تتسارع نظراتى فى خوف .

ماذا حدث لنا ؟ ماذا يعرف المرء
فى فراش المروج الخضراء الرطبة الندية ،
كأن شفتيه قد عَلَّقت على رقبتى
ألف قبلة حارة من الألماس .

ماذا حدث لنا ؟ ماذا يعرف المرء
لقد أصبحت أنا هو ... هو هدير البحار ،

أنا نبتة برية عاشقة للحرارة،

وهو زمزمة نسيم الصحارى.

أنا عطشى بين ساعديه

كعشب نما وترعرع من الشوق،

إلى أن شَرِبْتُ عطر البراعم المتمايلة،

فى كأس الليل المنفرج الأسارير.

وألقت الأمطار بالنجوم على شَعْرى

من فوق غصن شجرة الصمت الوحيدة،

وفى فراش المروج الخضراء الرطبة الندية

بقيتُ أنا وشعلات الأحضان ودفئها.

إننى أخشى هذا النسيم الجرىء

إذا تعلق هكذا بجسدى،

وأخاف أن يفوح من جسدى

بين الناس عطر العشب المضغوط.

من ديوان "العصيان"

قصــيدة لك

أنظم هذه القصيدة من أجلك ،

فى غروب صيف ظمآن ،

فى منتصف هذا الطريق المشئوم البداية ،

فى القبر القديم لهذا الحزن الذى لا نهاية له .

هذه آخر أغنية هدهدة

عند مهد نومك ،

حتى يتردد الصوت الوحشى لهذه الصيحة

فى سماء شبابك .

دع ظلى الحائر

يبتعد وينفصل عن ظلك ،

وسوف نلتقي يومًا ما، ولو كان بيننا أحد
فلن يكون هناك أحد غير الله.

لقد أَسْنَدْتُ جبهتى المحتقنة من الألم
إلى باب مظلم،
وأمر بأصابعى الرقيقة الباردة
على هذا الباب المفتوح من قبيل الأمل.

لقد كنتُ ذلك المصاب الذى أصابه العار،
وكان يضحك على السخرية التافهة.
قلتُ : لأكن صوتًا معبراً عن وجودى
غير أنه من المؤسف والمؤلم أننى كنت "امرأة".

عندما تقع عيناك البريئتان
على هذا الكتاب المشوش الذى لا بداية له،

ترى عصيان الأزمنة المتأصل
متفتحًا ومزدهرًا في قلب كل صوت .

*

هنا تكون كل النجوم كلها صامتة ،
هنا تكون الملائكة كلها باكية ،
هنا تكون براعم "زهرة مريم"
أقل قيمة وقدراً من أشواك الصحراء .

هنا جلس على ناصية كل طريق
عفريت الكذب والعار والرياء ،
ولا أرى في السماء المظلمة
نوراً لصباح اليقظة المضيء .

دع عينيّ تمتلئان مرة ثانية
بقطرات الندى ،

لقد غبت عن الوعى حتى أزيح الستار
عن وجه السيدة مريم البرىء.

انفصلتُ عن ساحل حسن السمعة
وفى صدرى نجمة الإعصار،
ومِجال طيران شعلة غضبى
وا أسفاه ، هو فضاء السجن المعتم
لقد أسندت جبهتى المحتقنة من الألم
إلى باب مظلم،
وأمر بأصابعى الرقيقة الباردة
على هذا الباب المفتوح من قبيل الأمل.

أَعْلَمُ أن هذا الجدال ليس سهلاً
مع هذه الفئة المتظاهرة بالزهد،
فمدينتى ومدينتك ياطفلى الجميل
وكر للشيطان منذ زمن بعيد.

سيأتى يوم تقع فيه عينك بحسرة
على هذه الأغنية الممزوجة بالألم،
وتبحث عنى فى ثنايا شعرى
وتقول لنفسك: إنها كانت أمى.

بلا معنى

كانت عيناك تنامان،

باردتين ساكنتين،

داخل إطار من الأحزان،

وكانتا تفصحان بلغة النظرات

عما لا يمكن قوله، أسرع منك.

كنتَ تخاف مني ومن كل ما كان مختفيًا فيّ،

وكنت تتخلص منه.

تذكرتُ أنك سوف تجرني وراءك

ذات يوم في طريق نفاذ الصبر،

سوف تجرني.

وفي آخر مرة

وفى آخر مرة

فى آخر لحظة لقاء مُرَّة ،

رأيتُ الدنيا كلها تافهة ،

وعصفت الرياح وأَصْغَيْتُ

لخشخشة أوراق الخريف .

ودَعَوْتَنى من جديد

وأبعدتنى من جديد

وأجلستنى على عرشى العاجى من جديد ،

وسحبتنى إلى خضم الأمواج ،

مهما كنت أرفل فى ديباج الغم والأحزان .

لقد عشت فى قلبى سنوات ،

آه .. ولم أعرف مطلقًا من العشق

ماذا تكون ؟

أو من تكون ؟

الرؤيا البللورية

اعتمدنا برفق على ساعدينا ،
وكانت تحيط بروحينا طراوة هالة العشق ،
ورأسانا مثل غصن مال من كثافة ثماره وأوراقه ،
وكان الصمت يخيم على أعتاب محراب العشق .

كنتُ كموجة سحاب أبيض وأنا بجوارك ،
وقد استقرت على جدائلى زهرة مريم البيضاء اللون ،
وفى كل لحظة كانت تتساقط قطرات الندى
من أهدابى الرقيقة فوق أوراق يديك .

وكأن الملائكة تحف بنا من كل جانب ،
وهم يعزفون بأناملهم الرقيقة على القيثارة ،

ويصبغون المحراب بنقائهم وطهارتهم،

في جو يعبق بعطر العود وأنّات البخور وسحب الدخان.

وكانت جبهتك العريضة الشامخة هادئة سعيدة

كبحر من النور على ضوء الشموع،

وقد استقرت تحت أهدابك رؤيا النور

بسيقانها الفضية.

وكنتُ عطشى لسماع صوتك الذى يهمس

فى أذنى بذلك الكلام الجميل الحنون،

كالأطفال الذين يستمعون وهم يصغون

إلى الأساطير القديمة المليئة بالغموض والأسرار.

وحينذاك انفتح فى سماء عينيك

جناح قوس قزح البللورى المتعدد الألوان،

وكان قلب المحراب المضيء يخفق في صدره،
وكنت أنا كشعلة متوهجة بنيران لحظة الانتظار تلك.

قلتُ بهدوء "نعم" واندفعتُ إليك
كنسيم الصباح المرتعش الذى لا يقر له قرار،
لكنك لم تكن موجوداً مطلقاً، ورأيت أنه
لا يوجد حتى الآن أى شيء في صدرى سوى الرغبة والأمل فيك.

الظلمة

لماذا هَرَبُك منى ؟

لماذا عَجَلَتُك فى الطريق ؟

ولماذا تريد اللجوء

إلى الليل وتلوذ بالظلمة ؟

السلم المرمرى لتلك الغرفة العاجية

واحسرتاه .. إنه بعيد جداً عنا ،

انتهز اللحظات ؛

فإن عين الغد عمياء .

لا يوجد مصباح فى تلك النهاية ؛

فكل ما هو بعيد واضح ظاهر ،

وربما تكون تلك النقطة النورانية ،

عين ذئاب الصحراء .

بقيت الخمر فى الكأس ،

فإلى متى يكون السجود على السجادة ،

وما هو مختفٍ هنا ،

إنما يتلألأ فى الخمر .

وإذا تعلقنا ببعضنا البعض ؛

فإننا نحن - الاثنين الحائرين الوحيدين -

سوف نصل كالموج إلى الملاذ الذى تبحث عنه ،

فى لحظة الأوج الساحرة العجيبة .

العقدة

لو لم يأتِ الغد من الطريق؛
لبقيتُ بجانبك إلى الأبد،
ولغنيتُ إلى الأبد أغنية عشقي
تحت أشعة شمس عشقك.

خلف زجاج نوافذ غرفتك،
كان لتلك الليلة نظرة باردة معتمة،
وكأن دهليز عينيك في الظلمة
كان له طريق يمتد إلى أعماق روحك.

وكانت تتحرك في ضباب المرآة
صورتنا المحطمة بلا إرادة،

وكان شَعْرُكَ بلون سيقان نبات القمح،
أما شَعْرى فقد كان ملتويًا أسود اللون.

كان هناك سِرٌّ يحترق داخل صدرى،
وكنت أريده أن يتحدث معك،
إلا أن صوتى كان خفيفًا بسبب العقدة؛
فالنباتات لا تنمو مطلقًا فى الظل.

ومن هناك حلقت نظرتى المتعبة
وحامت حول جسدى فى اضطراب،
وفى إطار ذهبى اللون
ضحكت عين المسيح من أحزانى.

رأيت الغرفة غير مرتبة ومضطربة،
وقد سقط كتابك على قدمى،

كما سقطت دبابيس شعرى

هناك فوق فراشِك .

لم يعد يعلو صوت الماء

من مسكن الأسماك البللورى ،

فى أى شىء كانت تفكر قطتك العجوز

حتى أن النوم لم يداعب جفونها .

مرة أخرى انعطفت نظرتى المضطربة

ناحيتك وهى خرساء ومتعبة ،

وكنت أريدها أن تتحدث معك

إلا أنها بقيت صامتة أمامك ،

عندئذ أخذت النجوم ذات الدموع البيضاء

تومض فى ليل أهدابى ،

ورأيت أن يديك قد أقبلت ناحية وجهى الحائر

كالسحاب .

رأيت أن أجنحة أنفاسك الدافئة

قد ذابت فوق عنقى البارد ،

وكأن نسيماً خفياً قد انطوى

داخل نباتات آلامى البرية .

وكانت يد تصب داخل صدرى

رصاص السكوت وحبات الصمت ؛

فاتجهت صوب مدينة النسيان ،

وأنا متعبة من هذا الشد والجذب المؤلم .

لم أعد أفكر فى آلام الغد وأحزانه ،

وقلت : كانت الرحلة حكاية مريرة ،

وفجأة انبسطت أمام حياتى

تلك اللحظة الذهبية العطرة .

فى تلك الليلة شربتُ من شفتيكَ

أغاريد الطبيعة السعيدة،

فى تلك الليلة سكبتَ فى حلق عشقى

قطرة الخلود من تلك القبلة.

العــودة

وأخيراً وصل الطريق إلى نهايته،
وكنت قد قَدِمْتُ من طريق ملىء بالغبار،
وكانت نظراتى تتقدمنى،
وكانت التحية الحارة تكسو أطراف شفتى.

كانت المدينة تغلى داخل تنّور الظهر،
والحارَةُ تكتوى بحرارة الشمس،
وكانت قدماى تتقدمان فوق
أرضيتها الصامتة وترتعشان بشدة.

كانت المنازل قد تغير لونها،
وعلاها الغبار، فأصبحت قاتمة اللون حزينة،

والوجوه تظهر من بين العباءات،
كأرواح قُيِّدت أقدامها بالسلاسل والأغلال.

وجدول ماء جاف ، كعين عمياء
خالٍ من المياه ومن آثارها،
ومر مطرب من الطريق،
وامتلأت أذني بأغنيته،

وقبة معروفة لمسجد قديم،
تشبه الكؤوس المحطمة،
وفوق شرفة المئذنة مؤمن
يؤذن بصوت حزين.

كان الأطفال يركضون خلف الكلاب
حفاة الأقدام ، والأحجار فى أيديهم،

وضحكت سيدة من وراء خمارها،

وفجأة أغلقت الرياح النافذة الصغيرة.

وكانت رائحة المقبرة الندية

تأتى من خلال فتحة الظُلَّة المظلمة،

وكان رجل أعمى يسير متوكئًا على عصاه،

وأحد المعارف يأتى من بعيد.

وهناك فُتح باب وساد الصمت،

ودَعَتْنى أيدٍ إليها،

وسقطت دموع من سحب العيون،

وأبعدتنى أيدٍ عن نفسى.

وفوق الجدار المفتوح شجرة لبلاب عتيقة،

تتخبط مثل نبع ماء رقراق،

وفوق أوراقها الكثيفة ،

خضرة الشيخوخة وغبار الزمان .

وسَأَلَتْ نظرتى الفاحصة المدققة

فى أى مكان يكون أثره ؟

لكنى رأيت غرفتى الصغيرة

خالية من صوته الطفولى .

وفجأة برزت صورته كما تنمو الزهرة

من قلب تراب المرآة البارد ،

وأخذت عيناه المخملية تتخبط

آه ، لقد كان يرانى أنا أيضًا فى الوهم !

استندت على صدر الجدار

وقلت بهدوء : هل هذا هو أنت يا "كامى" ؟

لكنى رأيت أنه لم يبق أى شىء من

ذلك الماضى المرير سوى الاسم .

وأخيراً وصل الطريق إلى نهايته،
وكنت قد قدمت من طريق مليء بالغبار
عطشة على نبع طريق الصراع والحسرة،
ولم تكن مدينتي سوى مقبرة لآمالي.

بعد الموت

سيدنو يومًا أجَلى،

فى ربيع مضىء بأمواج النور،

أو فى شتاء ملىء بالغيوم بعيد،

أو فى طريق لا ضجة فيه ولا ضجيج.

سيدنو يومًا أجلى،

فى يوم من هذه الأيام المرة أو الحلوة،

فى يوم أجوف كبقية الأيام،

أو فى يوم كظل هذه الأيام أو الأيام الماضية.

وستصبح عيناى كدهاليز مظلمة،

ووجنتاى كألواح المرمر الباردة،

وفجأة سيخطفنى النوم،
وأتخلص من الصياح والألم.

وستتحسس يداى دفترى بهدوء،
وهى خالية من سحر الشعر،
وأتذكر أننى كنت أنشد الشعر،
فترة من حياتى.

إن التراب يدعونى كل لحظة إليه،
ها هم يأتون حتى يوسدونى التراب،
آه ... ربما يضع أحبابى وردة
على قبرى الحزين فى منتصف الليل.
ثم يرحلون فجأة بعد ذلك،
وتُسدل ستائر دنياى المظلمة،
وتتأمل عيون الغرباء
فى أوراقى ودفاترى.

ويطأ غرفتى الصغيرة بقدمه

غريب من بعدى،

وقد ظلت بها مرآتى فى مكانها،

وبقيت شعرة من شعرى ورسم من رسمى ومشطى.

وأخاف من نفسى وأبتعد عنها،

إن كل ما تبقى سيصبح خرباً،

وسوف تصبح روحى كشراع سفينة

تبتعد وتختفى خلف الأفق.

وتُسرع الأيام والأسابيع والشهور

وراء بعضها بلا تمهل،

وتتعب عينك ويزوغ بصرك

وأنت ترقب الطريق فى انتظار رسالة.

لكن التراب المؤلم

يضغط على جسدى البارد من جديد ،

ويتلاشى قلبى هناك تحت التراب ،

لأنه بعيد عنك وعن ضربات قلبك .

وبعد ذلك تمحو الأمطار والرياح

اسمى من فوق الحجارة شيئًا فشيئًا ،

ويبقى قبرى فى الطريق بلا اسم

خاليًا من خرافات الاسم المخجلة .

من ديوان "الميلاد الجديد"

تلك الأيام

تلكَ الأيام ولّتْ؛

تلكَ الأيام الجميلة،

تلك الأيام الطيبة السعيدة،

تلك السماوات المليئة بالزينة،

تلك الأغصان المليئة بحبات الكرز،

تلك المنازل المتكئة على بعضها البعض خلف سور أخضر

من أشجار اللبلاب.

تلك الأسطح التى تنطلق من فوقها الطائرات الورقية المازحة،

وتلك الأزقة المنتشية من أريج زهور شجرة السنط،

لقد ولت تلك الأيام،

تلك الأيام التى كانت تنطلق فيها أغانىّ من بين أجفانى
كفقاقيع ممتلئة بالهواء.

وكانت عيناى تتجه إلى كل ما كان يتحرك
وتشربه كالحليب الطازج،
وكأنه يوجد وسط إنسان عينى
أرنب غير هادئ وسعيد.
كان يذهب كل صباح مع الشمس العجوز
إلى الصحارى المجهولة للبحث،
ويدخل فى الليالى غابات الظلمة.

تلك الأيام ولت؛
تلك الأيام المثلجة الصامتة،
حيث كنت أنظر إلى الخارج كل لحظة
بدهشة من خلف زجاج النافذة فى حجرة دافئة،

وكانت ثلوجى الطاهرة تتساقط كزغب ناعم

بهدوء.

فوق سلم خشبى قديم،

فوق حبل ملابس واهن،

فوق ذؤابات أشجار الصنوبر العتيقة،

وكنت أفكر فى الغد

وآه من الغد

إنه كَمٌّ أبيض أملس،

كان يبدأ مع خشخشة عباءة جدتى،

ومع ظهور ظلها المضطرب فوق إطار الباب،

حيث كان يحرر نفسه فجأة فى الإحساس البارد للنور،

ومبادرة طيران الحمائم المرتبكة

فى الكؤوس الزجاجية الملونة.

الغد...

كان دفء المدفأة يبعث على النوم،
وكنت أمحو بسرعة وجرأة
بعيداً عن نظرات أمى
الكتابات التى لا فائدة منها
من على صفحات دفترى القديم،
وعندما يهدأ سقوط الثلج
كنت أتجول فى الحديقة باردة،
وأدفن عصافيرى الميتة
تحت زَهْريات الياسمين الجاف.

تلك الأيام ولت؛
تلك الأيام .. أيام الانجذاب والحيرة،
تلك الأيام .. أيام النوم واليقظة،
تلك الأيام .. حيث كان لكل ظل سر،
وكانت كل علبة مغلقة تخفى كنزاً،

وكل زاوية في خزانة الملابس

كأنها عالم في هدوء الظهر وصمته،

لم يكن أحد يخشى الظلمة،

لقد كان هناك بطل في عينيّ.

تلك الأيام ولت؛

أيام العيد،

ذلك الانتظار للشمس والزهر،

تلك الرعشات للعطر،

حيث كانت زهور النرجس الصحراوية،

تزور المدينة في آخر صباح شتوى،

في مجتمع ساكت ومحجوب،

وأصوات الباعة الجائلين في الشارع الطويل

بقع خضراء.

وكان السوق يسبح فى روائح متضاربة ؛
فى رائحة القهوة والسمك النفاذة .
لقد اتسع السوق تحت وطأة الأقدام واستطال ،
وامتزج بكل لحظات الطريق
ودار ، وكان السوق أُمًّا
فى قاع عيون الدمى ،
تتجه بسرعة ناحية الأحجام والمقادير
الملونة السائلة .

ثم تعود
ومعها لفائف الهدايا والسلال المليئة العامرة
لقد كان سوق المطر الذى كان يهطل ، الذى كان يهطل ،
الذى كان يهطل .

تلك الأيام ولت ؛
تلك الأيام . . أيام الحيرة فى أسرار الجسد ،

تلك الأيام .. أيام التعارفات الحذرة ، وجمال العروق

زرقاء اللون .

وكانت اليد التى تنادى من خلف

الجدار وهى تحمل وردة

يداً أخرى

وبقع حبر صغيرة ، على هذه اليد المشوشة ،

المضطربة والخائفة .

والعشق ؛

الذى كان يتكرر فى سلامى الخجول ،

فى أوقات الظهر الحارة الملوثة بالدخان ،

كنا نقرأ عشقنا فى غبار الزقاق ،

كنا نتعارف بلغة زهور المرسال البسيطة ،

كنا نحمل قلوبنا إلى حديقة الحنان والعطف البريئين ،

وكنا نُقْرضها للأشجار ،

والكرة تنتقل بين أيدينا مع رسائل القبلات ،
وكان العشق ، ذلك الشعور المضطرب فى ظلمة
ظُلّة .

وفجأة حاصرنا
وجذبنا فى زحمة الأنفاس الحارقة والرعشات ،
والابتسامات المختلسة .
تلك الأيام ولت ؛
تلك الأيام كالنباتات الى تفسد تحت أشعة الشمس ،
فسدت من حرارة الشمس
واختفت تلك الأزقة المنتشية من أريج زهور السنط
فى زحام ضجيج الشوارع بلا عودة ،
والفتاة التى كانت تصبغ وجنتيها
بأوراق شمعدانية
آه . . هى الآن امرأة وحيدة ،
هى الآن امرأة وحيدة .

العابر

إلى متى ينبغى التنقل

من ديار إلى ديار أخرى،

أنا لا أستطيع، لا أستطيع البحث

فى كل وقت عن عشق جديد وعن حبيب آخر،

ليتنا كنا هذين العصفورين

اللذين يسافران طوال العمر

من ربيع إلى ربيع آخر.

آه .. لقد مضى الآن وقت بعيد

منذ انهار فى داخلى جدار

مظلم من السحب الثقيلة،

وعندما أَنْدَمِجُ مع قُبلتك

على شفتيّ ، أتخيل أنها

تَهَبُ الروح عطراً عابراً .

وهكذا يكون عشقى الحزين

ملوثًا بالخوف من الزوال ،

بحيث ترتجف كل حياتى

عندما أتطلع إليك ،

يكون ذلك مثلما أتطلع من نافذة

إلى شجرة واحدة ممتلئة بالأوراق

فى حُمَّى الخريف الصفراء ،

أو مثلما أنظر إلى صورة

فوق تيارات الماء الجارى المضطربة .

الليل والنهار

الليل والنهار

الليل والنهار

دعني أنسى

ماذا تكون أنت سوى لحظة ، لحظة تفتح

عيني على أفق الوعي والإدراك ؟

دعني

دعني أنسى.

تشرق الشمس

انظر إلى الحزن فى عينى،

كيف يستحيل إلى قطرات ماء،

وكيف يتحول ظل تمردى الأسود،

أسيراً فى قبضة الشمس.

انظر

إن وجودى كله يتحطم،

وتجرنى شرارة إلى فمها،

وتحملنى إلى الأوج،

وتسحبنى إلى الشَرَك.

انظر

إن كل سمائى

مليئة بالشهب،

وجئت أنت من بعيد،

من موطن العطور والنور،

وأجلستني الآن في زورق

من العاج والسحاب والبللور،

فخذني يا أملي الحبيب

إلى مدينة الأشعار والفتنة،

ولنصعد إلى طريق مليء بالنجوم،

ونجلس فيما وراء النجوم.

انظر

لقد احترقت من النجم،

وأصابتني الحمى بسبب النجوم،

وأصبحت ألتقط النجوم من بِرْكة الليل

كما تصاد الأسماك الحمراء اللون الساذجة.

كم كانت أرضنا بعيدة قبل الآن،

حيث هذه الغرف السماوية الزرقاء،
وصوتك الآن يصل إلى مسامعى من جديد
صوتك
صوت أجنحة الملائكة الثلجية،
فانظر إلى أين وصلت،
إلى المجرة ... إلى اللاحدود ... إلى الخلود.

والآن وقد وصلنا إلى الأوج،
اغسلنى بشراب الأمواج،
ولُفنى فى حرير قُبْلَتك،
واطلبنى فى الليالى الخالدة،
ولا تتركنى
ولا تبعدنى عن هذه النجوم.

انظر كيف يستحيل شمع الليل
إلى قطرات ماء فى طريقنا،

وكأس عينىّ السوداوين،

قد طفح من الشراب

بأغانيك الحنونة قبل النوم،

وانظر إلى مهد أشعارى

وأنت تتنفس وتشرق الشمس.

فوق الأرض

لم أتمنَّ أبداً

أن أصبح نجمة في سراب السماء،

أو أصبح رفيقة صامتة للملائكة

كأرواح المصطفين الأخيار،

لم أنفصل عن الأرض أبداً،

ولم أكن صديقة لنجمة.

لقد وقفت على الأرض

بجسدى الذى يشبه ساق نبات،

يمتص الرياح والشمس والماء

كى يحيا.

محملة بالرغبة،

محملة بالآلام،

وقفت على الأرض

حتى تثنى عليّ النجوم،

وتلاطفنى النسائم.

إننى أنظر من نافذتى الصغيرة،

ولست سوى رنين أنشودة،

لستُ خالدة،

إننى لا أبحث عن شىء سوى رنين أنشودة،

وفى أنات اللذة التى تكون

أكثر طهراً من صمت الحزن الساذج،

لا أبحث عن عُش

فى الجسد الذى يكون نَدًى

فوق زنبقة جسدى.

وفوق جدار كوخى حيث خطت
الحياة بخط العشق الأسود
تذكارات،
المارة من الناس:
قلب مصاب بسهم،
وشمعة مقلوبة،
ونقاط صامتة شاحبة اللون،
على حروف مبعثرة فى جنون،
وكل شفة تواصلت مع شفتى،
حملت نطفة نجم،
حيث استقرت فى ليلى
فوق نهر التذكارات.
فلماذا إذن أتمنى نجماً؟
هذه هى أنشودتى
مقبولة محببة
لم تكن موجودة قبل ذلك .. قبل ذلك.

سوف تحملنا الرياح

في لَيْلِي القصير، وا أسفاه

هِناكَ موعد للرياح مع أوراق الأشجار،

في لَيْلِيَ القصير قلق وخوف من الخراب والضياع.

انْصِتْ

هل تسمع هبوب الظلام؟

إنني أنظر باستغراب إلى حسن الحظ هذا؛

فأنا معتادة على يأسي.

انْصِتْ

هل تسمع هبوب الظلام؟

فى الليل الآن شيء يمر ،

القمر عنيد ومضطرب ،

وفوق هذا السقف الذى يُخشى انهياره فى كل لحظة ؛

كأن السحب تنتظر لحظة هطول المطر

مثل جموع المعَزِّين .

لحظة

وبعدها ، لا شيء .

وخلف هذه النافذة يرتعش الليل ،

وتتوقف الأرض

عن الدوران ،

وخلف هذه النافذة مجهول

ينتظرني وينتظرك .

يا من تكون كُلُّك أخضر من الرأس حتى أخمص القدمين ،

ضع يديك فى يَدَىَّ العاشقتين

كذكرى متوهجة،

ودع شفتيك تدلل شَفَتَيَّ العاشقتين

كإحساس دافئ من الوجود؛

فلسوف تحملنا الرياح معها،

سوف تحملنا الرياح معها.

وسط الظلمة

وسط الظلمة

ناديتك ،

وكان الصمت

والنسيم الذى كان

يرفع الستائر ،

وفى السماء الحزينة

كانت هناك نجمة تحترق ،

وكانت هناك نجمة تختفى ،

وكانت هناك نجمة تموت .

ناديتك

ناديتك

وكان كل كيانى

ككوبٍ من الحليب،

أحمله بين يدى،

ونظرة القمر الزرقاء

ترتطم بالزجاج.

وعلت نغمات أنشودة حزينة

كالدخان،

من مدينة صَرَّارُ الليل

وكانت تنزلق كالدخان

فوق النوافذ.

وهناك طوال الليل،

كان يتنفس من اليأس

فوق صدرى

شخص،

شخص كان ينهض،

كان يطلبُكَ،

وكان يعيد يديه الباردتين

إلى الوراء من جديد.

وهناك طوال الليل،

حيث كانت الأحزان تتساقط

من فوق الأغصان السوداء،

بقيت إنسانة بذاتها

تناديك،

بينما كان الهواء يلفح وجهها

كحفنة تراب.

وكانت شجيرتي

عاشقة للريح،

الريح التى لا مأوى لها ؛

فأين منزل الريح ؟

أين منزل الريح ؟

اصفحوا عنها

اصفحوا عنها
تلك التى تَنْسى بين الحين والآخر
الصلة المؤلمة لوجودها
بالمياه الراكدة،
والحفر الفارغة،
وتظن ببلاهة
أن لها الحق فى الحياة.

اصفحوا عنها،
واغفروا لها هذا الغضب اللامبالى فى هذا التصور،
الذى تذوب فيه آمال التحرك بعيدة المنال
فى عيونها الورقية.

اصفحوا عنها ،

تلك التى يمر فى كل تابوتها

تيار القمر الأحمر ،

وتجعل عطور الليل المثيرة

نوم جسدها الذى يصل إلى ألف عام

مضطربًا .

اصفحوا عنها

تلك المحطمة من الداخل،

إلا أن جلد جفونها ما زال يحترق من تصور ذرات النور،

وترتعش جدائلها التى لا طائل منها فى يأس

بتأثير أنفاس العشق .

يا من تقطنون موطن حسن الطالع البسيط ،

يا من تجاورون النوافذ المفتوحة أثناء المطر ؛

اصفحوا عنها ،

اصفحوا عنها ،

ذلك لأنها مسحورة ،

ذلك لأن جذور كيانكم المثمرة

تَحْفُرُ في أتربة غربتها ،

وتُوَرِّمُ قلبها الطيب الساذج

في زاوية صدرها

بضربات الحسرة المؤذية .

أغنية الحب

يا من تَلَوَّنَ ليلى بسبب رؤياك فى أحلامى،

وثَقُل صدرى بتأثير عطرِك وعبيرك.

يا من بَسَطْتَ نفسك أمام عينى،

ومَنَحْتَنى السعادة أكثر من الحزن،

مثل الأمطار التى تغسل جسد الأرض.

وطَهَّرْت كيانى من كل الأدران؛

يا من تكون نبضات جسدى المتوهج،

يا من تكون ناراً فى ظل أهدابى،

يا من تكون ممتلئًا أكثر من حقول القمح،

يا من تكون أوفر ثمراً من الأغصان الذهبية،

يا من تكون بابًا مفتوحًا أمام الشمس،

عند هجوم ظلمة الشك.

لم أعد أخشي الألم وأنا معك

وإذا وجد ، فإنه ليس سوى ألم سعادتى.

هل هذا هو قلبى المتضايق وهذا حِمْل النور؟

هل هذه هى حلبة الحياة وصخبها فى قيعان القبور؟

يا من تكون عيناك مروجى،

كم أثَّرتْ عيناك فى عينى.

وإذا كنت قد تخيلت فى نفسى أحداً قبلك؛

فإننى لم أتخيلك أنت.

إن ألم الرغبة ألم مظلم،

والسعى والعبث يعيب الذات،

ووضع الرأس على الصدور سوداء القلوب

هو تلويث للصدر بأدران الأحقاد.
في التدليل يكون العثور على أنياب الثعابين.
وفي ابتسامة الأحبة يوجد السم،
ووضع الذهب في أكف اللصوص
والضياع في ساحات الأسواق.

آه يا من امتزجتَ بروحي،
يا من رفَعتني من قبري
كنجمة ، ذات جناحين مذهبين
جاءت من السماء البعيدة،
والتَزَمَتْ وحدتي الصمتَ بسببك،
وتَشَرَّب جسدي برائحة العناق،
وأَجْرَيْتَ الماء في جدول صدري الجاف،
وجعلتَ فراش عروقي مغموراً بالسيول،
وفي هذه الدنيا الباردة والسوداء
تخطو قدماي مع قدميك على الطريق.

يا من اختفيت تحت جلدى،

وسريت كالدم الثائر فى عروقى،

وأحرقت ذؤابتى من التدليل،

وأحرقت وجنتى من حرارة الرغبة.

آه .. يا من تكون غريبًا على قميصى،

معتادًا عارفًا بمروج جسدى.

آه .. يا ضوء الشروق الذى لا غروب له،

يا شمس بلدان الجنوب.

آه، يا من تكون أنضر من وقت السَحَر،

وأكثر طراوة ونضارة من الربيع.

إن العشق ليس شيئًا آخر غير هذا، هذه هى الدهشة والانبهار.

إنك ثريا فى صمت الظلمة،

وعندما استيقظ العشق فى صدرى

آثرتُ الطلب بكل كيانى.

لم أعد أنا ، لم أعد أنا

وا حسرتاه على ذلك العمر الذى قضيته مع نفسى.

يا من تكون شفتاى موضع قبلاتك،

وتحدق عيناى فى طريق قُبْلتك،

يا تشنجات اللذة فى جسدى،

يا من تكون خطوط جسدك قميصًا لى.

آه .. إننى أريد أن أتمزق من السرور،

ويتلوث سرورى لحظة بالأحزان،

آه .. أريد أن أنهض من مكانى،

وأبكى كالسحاب دموعًا بصوت مرتفع.

هل هذا هو قلبى المتضايق ، وهل هذا هو دخان العود؟

هل هذا هو عزف الصنج والعود فى غرفة نومى؟

هل هذا هو الفضاء الخالى والطيران؟

هل هذا هو الليل الساكن وهذه هى الأغنيات؟

يا من تكون نظرتك تهويدة تحمل السِحْر ،
وهى مهد الأطفال المتمايل المهتز ،
يا من تكون أنفاسك نسيماً ناعساً ،
يا من غسلتنى من ارتعاشات الاضطراب ،
واستقر بك المقام فى ابتسامة غدى ،
وتغلغلت فى أعماق دنياى .

يا من مزجتنى بثورة الشِعْر وفتنته ،
وأشعلت كل هذه النيران فى شِعْرى ،
وعندما أشعلت حمّى عشقى وحرارته ؛
لا جرم أنك أضرمت النار فى شِعْرى .

يوم جمعة

يوم جمعة ساكت ،

يوم جمعة مهجور ،

يوم جمعة مثل الأزقة العتيقة ،

يوم جمعة الأفكار الكسولة المريضة ،

يوم جمعة التثاؤبات المؤذية القاتلة ،

يوم جمعة بلا توقعات ،

يوم جمعة الاستسلام .

البيت فارغ ،

البيت مهموم حزين ،

البيت مغلق فى وجه غارة الشباب ،

بيت الظلمة وتصور الشمس،

بيت الوحدة والتفاؤل والشك،

بيت الستائر والكتب والخزانة والصور.

آه كيف مرت حياتي بهدوء وبكل كبرياء؛

كجدول نهر غريب،

في قلب تلك الجُمَع الساكتة المهجورة،

في قلب تلك البيوت الفارغة الحزينة،

آه، كيف انقضت بهدوء وبكل كبرياء.

الدمية المعبأة

أكثر من هذا ، آه ، نعم

يمكن للمرء أن يلزم الصمت أكثر من هذا ،

يمكن للمرء أن يظل مشدوهًا

لساعات طويلة ؛

بنظرة كنظرات الموتى الجامدة ،

وهو يحملق فى دخان سيجارة ،

فى شكل فنجان ،

فى زهرة باهتة على سجادة ،

فى خط وهمى على الجدار ،

يمكن للمرء أن يزيح الستار جانبًا

بأصابع يابسة ،

ويشاهد المطر الغزير يهطل فى الحارة،

وقد وقف طفل يحمل طائرته الورقية الملونة

تحت طاق،

وعربة متهالكة تجرها الدواب

تغادر الميدان الخالى

بسرعة وجلبة.

يمكن للمرء أن يبقى ثابتًا فى مكانه

قرب ستار، لكنه أعمى، لكنه أصم.

يمكن للمرء أن يصيح

بصوت شديد الكذب، شديد الغربة؛

قائلاً: "أنا أحب".

يمكن للمرء أن يكون مادة جميلة وصحيحة

وهو بين ساعدَى رجل قويّين.

يمكن للمرء أن يلوث نقاء حب

بجسد يشبه مائدة جلدية

بثديين ناهدين

فى فراش ثمل ، أو مجنون ، أو شريد متسكع .

يمكن للمرء أن يحقر بذكاء

كل لغز عجيب ،

يمكنه فقط أن يحل ألغاز الكلمات المتقاطعة ،

يمكنه فقط إدخال السرور على القلب باكتشاف

إجابة لا جدوى منها ،

نعم إجابة لا جدوى منها ، من خمسة حروف أو ستة .

يمكن للمرء أن يظل طوال عمره راكعًا

مطأطئ الرأس أمام ضريح بارد ،

يمكن للمرء أن يرى الله عند قبر مجهول ،

ويمكنه استعادة الإيمان بالنظر إلى قطعة نقدية تافهة ،

يمكن للمرء أن يهترئ ويتحلل داخل غرف مسجد
كشيخ يقرأ أدعية من كتب الزيارات ،
يمكن للمرء الحصول على نتيجة ثابتة ومتشابهة ،
كالصفر فى الطرح والجمع والضرب .
يمكنه أن يظن عينك زراً باهت اللون
فى حذاء قديم ، من شدة غضبه ،
يمكنه أن يتعرض للجفاف كالماء فى حفرته .

يمكن للمرء أن يخفى جمال لحظة ما خجلاً منها
كصورة فورية سوداء مضحكة
فى قاع صندوق .
يمكن للمرء أن يعلق صورة رجل متهم أو مهزوم
أو مصلوب فى إطار خال مهمل من زمن ،
يمكنه أن يغطى ثقوب الجدار بصور صغيرة
ويمزجها برسوم أكثر تفاهة .

يمكن للمرء أن ينظر بعينين زجاجيتين إلى عالمه

كالدمى المعبأة ،

يمكنه أن ينام لسنوات فى صندوق مبطن بالجوخ

بجسد محشو بالتبن ،

بين طيات شباك الصيد وقشور الأسماك .

يمكنه مع كل مصافحة يد ضاغطة تافهة

الصياح بدون مبرر وقول :

آه .. إننى سعيد جداً بلقائك .

معشوقى

معشوقى

بذلك الجسد العارى بلا حياء،

وقف كالموت

فوق ساقيه القويتين.

وتتعقب

الخطوط المضطربة المتعرجة

قامته الشامخة

فى بنيته المحكمة القوية.

معشوقى

كأنه أصبح من أجيال منسية،

كأنه تتارىّ

يتربص فى نهاية عينيه دائمًا

فارس،

كأنه بربرى

ينجذب إلى دم الفريسة الحار

في وميض أسنانه الرطبة الندية.

معشوقى

كالطبيعة،

عنده مفهوم حتمى وصريح،

وهو بسيطرته علىّ

يؤكد

قانون القوة الصادق،

هو حر بهمجية،

مثل غريزة صحيحة

في أعماق

جزيرة مهجورة،

وهو ينظف غبار الشوارع

من فوق حذائه

بقصاصات من خيمة المجنون.

معشوقي

كمعبود في معبد من معابد نيبال،

كأنه كان غريبًا

منذ بداية وجوده.

هو

رجل من القرون الماضية،

مُذَكِّرٌ بأصالة الجمال

هو في فضائه

كرائحة طفل،

يوقظ دائماً
ذكريات البراءة وأفكارها .
هو مثل أنشودة عامية عذبة
مليئة بالعنف والعرى .

هو يحب بإخلاص
ذرات الحياة ،
ذرات التراب ،
الأحزان الآدمية ،
الأحزان النقية الطاهرة .

هو يحب بإخلاص
ممرات حديقة القرية ،
والشجرة ،
وطبق المثلجات ،
وحبل الغسيل .

معشوقى

إنسان بسيط؛

الإنسان البسيط الذى

أخفيته فى داخل صدرى،

كآخر علامة على عقيدة عجيبة

فى موطن العجائب المشئوم.

آيات أرضيـة

حينذاك ؛

بردت الشمس،

وضاعت الشمس،

وضاعت البَرَكَةُ من الأرض.

وجفت الخضرة فى الصحارى،

وتيبست الأسماك فى البحار،

ولم يعد التراب يَقْبل

موتاه.

الليل فى كل النوافذ الشاحبة اللون

يشبه صورة باهتة،

وقد كان دائمًا فى تراكم وطغيان،
وتخلت الطرق عن مسارها
وسط الظلمة.

لم يعد أحد يفكر فى العشق،
لم يعد أحد يفكر فى النصر،
ولم يعد أحد قط
يفكر فى أى شيء.

فى كهوف الوحدة
جاء العبث إلى الدنيا،
وكان الدم يفوح برائحة الحشيش والأفيون،
والنساء الحوامل
وَلَدْنَ أطفالاً بلا رؤوس
ولجأت المهاد إلى القبور
خجلاً وحياء.

يا له من زمن مُرّ أسود ؛

فالخبز قد تغلب على

قوى الرسالة العجيبة ،

وهرب الأنبياء الجائعون البائسون

من الملتقيات الإلهية ،

وحملان عيسى الضالة

لم تعد تسمع صوت الراعى يناديها

فى ذهول الصحراء .

وفى عيون المرايا

كأن الحركات والألوان والصور

قد انعكست مقلوبة ،

وفوق رؤوس المهرجين الحِقار

هالة مقدسة نورانية ،

كانت تتوهج مثل مظلة مشتعلة .

ومستنقعات الكحول

بأبخرتها اللاذعة الطعم المسمومة ،

قد جذبت حشود المفكرين الصامتة

إلى أغوارها .

والفئران الخبيثة

فى خزانات الكتب القديمة ،

كانت تمضغ أوراق الكتب المموهة بالذهب .

وكانت الشمس قد ماتت

وكانت الشمس قد ماتت ، وغداً

لن يبقى لها فى أذهان الأطفال

سوى مفهوم أبكم ضائع ،

وسوف يصورون غرابة هذا اللفظ القديم

فى دفاتر تدريباتهم ،

ببقعة سوداء ضخمة .

والناس

جموع الناس الساقطين

المتبلدى الحس المحبطين المدهوشين

تحت وطأة أجسادهم المشئومة،

كانوا ينتقلون من غربة إلى غربة أخرى،

وكانت تتضخم فى أيديهم

الرغبة المزعجة للجريمة.

وأحيانًا شرارة، شرارة ضئيلة

كانت تدمر هذا المجتمع الساكن الخامل

من داخله مرة واحدة؛

فيهجمون بعضهم على بعض

وينحر الرجال حلوق بعضهم البعض

بالسكاكين،

وفى فراش من الدم

يضاجعون القاصرات.

إنهم كانوا غرقى خوفهم،

وقد شل حس الجريمة المرعب

أرواحهم العمياء الحمقاء.

ودائمًا فى مراسم الإعدام،

عندما كان الجلاد يُخرج

عينَى المدان المتشنجتَين

من محجريهما بالشنق،

ينكمش هؤلاء فى ذواتهم

وكانت أعصابهم العجوز المتعبة ترتعد

من التصور الشهوانى،

لكنك كنت ترى دائمًا

هؤلاء الجناة الصغار،

فى أطراف الميادين

وقد وقفوا

فى حالة من الدهشة والحيرة

وهم ينظرون إلى تدفق النافورات المستمر .

وربما حتى الآن

فى داخل العيون المتهرئة ، فى عمق الجمود

قد بقى شىء ما

نصف حى ومضطرب

يريد فى سعيه الواهن

أن يؤمن بطهارة صوت المياه .

ربما ، ولكن يا له من خواء بلا نهاية ؛

فقد ماتت الشمس،

ولم يكن أحد يعلم

أن اسم تلك الحمامة الحزينة

التى فرت من القلوب

هو الإيمـان .

آه، يا صوت السجين

ألن تحفر شكوى يأسك

نفقًا نحو النور أبدًا؟

آه ، يا صوت السجين

يا آخر صوت للأصوات .

الهديـــة

إننى أتحدث من أقصى الليل ونهايته،

من أقصى الظلمة،

من نهاية الليل أتحدث.

فإذا جئت إلى بيتى فاحضر لى أيها الحنون العطوف مصباحًا

وكوة صغيرة حتى

أنظر من خلالها إلى ازدحام الحارة السعيدة.

الوهم الأخضر

قضيت النهار كله وأنا أبكى أمام المرآة،

وكان الربيع قد أودع نافذتى

وهم الأشجار الأخضر،

لم تتسع شرنقة وحدتى لاحتواء جسدى،

ورائحة تاجي الورقى

لوثت فضاء ذلك الحيز الخالى من الشمس،

وتدهورت قدرتى بعد ذلك، تدهورت

فأصوات الحارة، وأصوات الطيور،

وصوت اختفاء الكرات المصنوعة من الجوخ،

وضوضاء الأطفال الهاربين،

ورقص البالونات

التى تتصاعد مع نهاية خيطها ،

كفقاقيع رغوة الصابون ،

والرياح، والرياح كأنها

تتنفس فى أعماق أعماق لحظات مطارحة الغرام المظلمة ،

كانت تضغط على أبراج قلعة ثقتى الصامتة ،

وكانت تنادى قلبى باسمه

من خلال الفجوات العتيقة .

وطوال اليوم

احتارت نظرتى فى عينى حياتى ،

فى هاتين العينين المضطربتين الخائفتين ،

الهاربتين من نظرتى الثابتة ،

وتوارتا مثل الكذابين

فى عزلة أهدابهما الآمنة .

أى قمة ؟ أى أوج ؟

ألا تؤدى كل هذه الطرق المتعرجة

إلى نقطة التلاقى والنهاية

فى ذلك الفم البارد المُرْتَشِف ؟

ماذا أعطيت لى يا أيتها الكلمات البسيطة الخادعة ،

ويا رياضة الأجساد والرغبات ؟

لو كنت قد زينت شَعْرى بوردة

من هذا الزيف ، من التاج الورقى هذا

الذى فاحت رائحته على رأسى ،

ألم يكن ذلك أكثر خداعًا وسلبًا للألباب ؟

كيف تملكتنى روح الصحراء ،

وأبعدنى سحر القمر عن إيمان القطيع ،

كيف كَمُل نقصان قلبى ،

وما من نصف أتم هذا النصف !

كيف وقفتُ ورأيتُ

الأرض تخلو تحت قدمى من نقطة ارتكاز،

ولا تتحرك حرارة جسد إلفى

فى انتظار جسدى الأجوف.

أى قمة، أى أوج؟

أيتها المصابيح المشوشة

كونى ملاذًا لى،

ويا أيتها المنازل المضيئة الشكاكة،

فوق أسطحك المشمسة

تتأرجح الملابس المغسولة بين أحضان

الدخان المعطر.

يا أيتها النسوة البسيطات الكاملات

كن ملاذًا لى؛

فأطراف أصابعكن الرقيقة

تتتبع مسار الحركة الممتعة لجنين تحت الجلد،

ومن خلال فتحات قمصانكن؛

يمتزج الهواء دائمًا

برائحة اللبن الطازج.

أى قمة ؟ أى أوج؟

أيتها المواقد المليئة بالنيران - يا حدوات حسن الطالع -

كونوا ملاذًا لى،

آه من أغنية الأوانى النحاسية فى سواد المطبخ،

وآه من ترنيمات ماكينة الخياطة الحزينة،

وآه من صراع السجاد والمكانس الدائم،

ليلا ونهاراً.

يا كل العشاق الحريصين،

كونوا ملاذًا لى؛

فإن رغبتكم المؤلمة فى البقاء

تزين فِراش غزواتكم

بماء سحرى وقطرات دم طازج.

طوال اليوم، طِوال اليوم

متروكة، متروكة، كجيفة فوق سطح الماء،

وكنت أتقدم ناحية الصخرة الأكثر رعبًا،

ناحية الكهوف البحرية الأكثر عمقًا،

والأسماك الأشد افتراسًا،

وفقرات ظهرى الرقيقة

تتألم من الإحساس بالموت.

لم أعد قادرة، لم أعد قادرة،

وقد أخذ صوت وقع قدمى يرتفع

من إنكار الطريق،

وازداد يأسى أكثر من صبر روحى،

وذلك الربيع،

وذلك الوهم الأخضر اللون

الذى مر على النافذة،

كان يقول لقلبى

"انظرى

إنك لم تتقدمى مطلقًا

بل هويتِ".

غزو الحديقة

ذلك الغراب الذى طار

فوق رؤوسنا،

وغاب فى فكر مشوش لسحابة شريدة،

وطوى صوته اتساع الأفق طيًّا كرمح قصير،

سوف يحمل أخبارنا معه إلى المدينة.

الجميع يعلمون،

الجميع يعلمون،

إننا، أنا وأنت، رأينا الحديقة

من خلال تلك الكوَّة الباردة العبوس،

وإننا قطفنا التفاح

من على ذلك الغصن المتمايل البعيد المنال.

الجميع خائفون،

الجميع خائفون، غير أننا، أنا وأنت

تواصلنا مع المصباح والماء والمرآة ،

ولم نخش شيئًا.

حديثى ليس عن ارتباط ضعيف لاسمين،

أو عن عناق فى صفحات دفتر بالية،

إن حديثى حول خُصَل شعرى المحظوظة

مع الشقائق الملتهبة من حرارة قبلاتك،

وحميمية جسدينا ، فى اضطراب.

وتوهج عُرْيِنا

مثل حراشف الأسماك فى الماء،

إن حديثى عن حياة فضية لأغنية

ترددها نافورة صغيرة فى وقت السحر.

ونحن فى تلك الغابة التى تموج بالخضرة

سألنا الأرانب البرية ذات ليلة،

وفى ذلك البحر المتلاطم القاسى

سألنا الأصداف المليئة باللؤلؤ،

وفى ذلك الجبل الغريب الراسخ

سألنا العِقْبان الفتية،

ماذا ينبغى أن نفعل.

الجميع يعلمون،

الجميع يعلمون،

أننا عثرنا على الطريق

إلى الأحلام الباردة والساكنة للعنقاوات،

لقد اكتشفنا الحقيقة فى الحديقة؛

فى نظرة مليئة بالحياء لزهرة مجهولة الهوية.

وثبتنا الزمان فى لحظة غير محدودة،

عندما حملقت شمسان كل فى الأخرى.

حديثى ليس عن الهمس المخيف فى الظلام،

إن حديثى عن النهار والنوافذ المفتوحة،
والهواء العليل،
والمدفأة التى تحرق فيها الأشياء غير النافعة،
والأرض المثمرة بزراعة من نوع آخر،
والميلاد والتطور والغرور،
إن حديثى عن أيدينا العاشقة،
التى مدت جسراً من رسائل العطر والنور والنسيم
عبر الليالى؛
فتعال إلى المروج،
إلى المروج الفسيحة،
ونادنى، من خلف أنفاس الزهور الحريرية،
كمثل الغزال وهو ينادى زوجه،
الستائر مثقلة بالبغض المخبوء،
والحمائم البريئة،
تنظر إلى الأرض
من أعالى برجها الأبيض.

كان الطائر طائرًا فحسب

قال الطائر : "أى عطر هذا ، أى شمس هذه

آه لقد أقبل الربيع

وسوف أذهب للبحث عن قرينى"

طار الطائر من فوق حافة الشرفة وابتعد ،

طار مثل رسالة ،

كان الطائر صغيراً ،

ولم يكن يفكر ،

ولم يكن يقرأ الصحف ،

ولم يكن الطائر مدينًا لأحد ،

لم يكن الطائر يعرف الناس .

كان الطائر يحلق فى الجو ،

فوق مصابيح الإنذار .

كان يطير فى ارتفاع الغفلة ،

وكان يجرب اللحظات الزرقاء

كمجنون

آه ، إن الطائر كان طائراً فحسب .

سوف أحيي الشمس من جديد

سوف أحيي الشمس من جديد،

وسوف أحيي جدول الماء الذى يتدفق داخلى،

وسوف أحيي السحب التى كانت بمثابة أفكار طويلة بالنسبة لى.

سوف أحيي نمو أشجار الحَوَر المؤلم فى الحديقة

التى تَعْبر معى الفصول الجافة.

سوف أحيي أسراب الغربان

التى كانت تحضر لى هدية

من أريج المزارع الليلى.

سوف أحيي أمى التى تعودت أن تعيش فى المرآة،

والتى كانت على شكل شيخوختى.

وسوف أحيي من جديد الأرض التى حشدت بباطنها الملتهب

البذور الخضراء اشتهاء لتكرارى.

إننى قادمة ، إننى قادمة ، إننى قادمة

مع خصلات شعرى : التى هى استمرار للروائح الموجودة تحت الأرض،

مع عينى : التى هى تجارب الظلمة الكثيفة،

مع الشجيرات : التى قطفتها من غابات الناحية الأخرى من الجدار.

إننى قادمة، إننى قادمة، إننى قادمة

والعتبات مليئة بالعشق،

وأنا على العتبات سوف أحيى من جديد

أولئك اللائى يحببن،

والفتاة التى ما زالت تقف هناك

على عتبات مليئة بالعشق.

كُنتُ قد مِتُّ بسببك

كنتُ قد مِتُّ بسببك،
لكنك كنتَ حياتى.

كُنتَ تسير معى،
كُنتَ تتغنى فىَّ،
عندما كنتُ أطوى الشوارع
هائمة بلا أى هدف.
كُنتَ تسير معى،
كُنتَ تتغنى فىَّ،
كُنتَ تدعو العصافير العاشقة
إلى نافذة الصباح
من بين أشجار الدردار.

وعندما كان الليل يستمر طويلاً،

وعندما كان الليل لا ينتهى؛

كنت تدعو العصافير العاشقة

إلى نافذة الصباح

من بين أشجار الدردار.

كنتَ تأتى إلى حارتنا ومعك مصابيحك،

كنت تأتى حاملاً مصابيحك،

وعندما كان الأطفال يذهبون

وتنام عناقيد زهور شجرة السنط

وأبقى أنا وحيدة فى المرآة

كنت أنت تأتى مع مصابيحك.

كنت تمنحنى يديك،

كنت تمنحنى عينيك،

كنت تمنحنى محبتك وعطفك،
وعندما أكون جائعة
كنت تهبنى حياتك،
لقد كنت سخيًّا كريمًا كالنور.

كنت تقطف زهور الشقائق؛
وتغطى بها خصلات شعرى
عندما كانت خصلات شعرى ترتعد من العرى والتجرد،
كنت تقطف زهور الشقائق.

كنت تلصق وجنتيك
فوق صدرى المضطرب،
بينما أنا لم أعد
أملك شيئًا أقوله
كنت تلصق وجنتيك

فوق صدرى المضطرب ،

وتنصت

إلى دمى المتدفق وهو يئن ،

وعشقى الذى يموت وهو يبكى.

كنت تنصت ،

لكنك لم تكن ترانى.

الميلاد الجديد

وجودى كله آية الظلمة ؛

التى سوف تأخذك مرات ومرات

إلى فجر انفراج الأسارير والانطلاقات الأبدية .

آه لقد تنهدت من أجلك فى هذه الآية ،

وفى هذه الآية

ربطت بينك وبين الشجرة والماء والنار .

ربما تكون الحياة

شارعًا طويلاً تمر عبره كل يوم امرأة تحمل سلة ،

ربما تكون الحياة

طفلا عائدًا من المدرسة ،

ربما تكون الحياة إشعال سيجارة أثناء استراحة
مسترخية بين عناقين،
أو عبور حائر لأحد المارة
وهو يرفع قبعته محيياً عابر سبيل آخر،
ويقول له بابتسامة لا معنى لها "صباح الخير".

ربما تكون الحياة هي تلك اللحظة المسدودة
التي تُخَرِّب فيها نظرتي ذاتها في إنسان عينيك،
وتكون في هذا الإحساس
الذي سوف أمزجه بإدراك القمر وفهم الظلمة.

في غرفة لا تسع إلا الوِحدة
قلبي
الذي يتسع لحب كبير،
ينظر إلى الذرائع البسيطة لسعادته

وإلى ذبول جمال الأزهار في الزَهْرية،

إلى الشجيرة التي زرعتها أنت في حديقتنا،

وإلى شدو عصافير الكناريا

التي تغني بحجم نافذة واحدة.

آه ...

هذا هو نصيبي

هذا هو نصيبي

نصيبي، سماء تستمد إسدال ستائرها مني،

نصيبي، هبوط على درج مهجور

للوصول إلى شيء من بين الضياع والغربة،

نصيبي نزهة حزينة في حديقة الذكريات

ويقول لي - في حزن - صوت من يُسْلم الروح:

"إنني أحب يديك".

سأزرع يَدَىَّ فى الحديقة

وسوف أنضج ، أعلم ، أعلم ، أعلم

وسوف تضع العصافير بيضها

فى حفرة أصابعى الملوثة بالحبر.

وسوف أضع فى أُذُنَىَّ قرطين

من كُرَيْزتين حمراوين توأمتين ،

وسوف ألصق أوراق زهرة الدهلية (الأضاليا) على أظافرى،

وهناك حارة

حيث لا يزال الصبية الذين كانوا يعشقوننى

بنفس شعرهم المبعثر ورقابهم الرقيقة وأرجلهم النحيلة،

يفكرون فى الابتسامات البريئة لفتاة صغيرة

حملتها الرياح معها ذات ليلة،

هناك حارة

سرقها قلبى من أحياء طفولتى.

السفر كتلة على خط الزمان،

وبحجم الخط الجاف يكون الحَمْل للزمن،

كتلة مطّلعة على الصورة

تنعكس من وليمة مرآة.

وعلى هذه الشاكلة

يموت إنسان،

ويعيش إنسان،

ولن يصيد أى صياد لؤلؤًا

من جدول حقير يصب فى حفرة.

إننى أعرف جِنِّيَّة صغيرة حزينة،

تسكن فى محيط،

وهى تدلل قلبها وتعزف له برويَّة

على مزمار خشبى،

إنها جِنِّيَّة صغيرة حزينة،

تموت فى الليل من قُبلة،

وتولد فى الفجر من جديد من قبلة.

من ديوان

"فلنؤمن ببداية فصل البرد"

فلنؤمن ببداية فصل البرد

وهذه أنا ..

امرأة وحيدة ،

على أعتاب فصل البرد ،

فى بداية إدراك الوجود المُلَوَّث للأرض ،

ويأس السماء الساذج والحزين ،

وعجز هذه الأيدى الفضية .

لقد مر الوقت ،

مر الوقت ودقت الساعة أربع دقات ،

أربع دقات ،

اليوم هو أول يوم فى شهر "دى"[٢] ،

إننى أعرف أسرار الفصول ،

وأفهم حديث اللحظات ،

والمنقذ قد رقد فى القبر ،

والتراب . . تراب المُسْتَقْبِل

علامة على الهدوء والسكينة .

مر الوقت ودقت الساعة أربع دقات ،

والريح تعصف فى الحارة ،

والريح تعصف فى الحارة ،

وأنا أفكر فى تزاوج الزهور ،

وفى البراعم ذات السيقان الرفيعة قليلة الدم ،

وهذا الزمان المُتْعَب المسلول ،

ورجل يمر بجوار الأشجار المبللة ؛

رجل تشبه خيوط عروقه الزرقاء

أفاعى ميتة زحفت صاعدة

على جانبَى رقبته ،

ويكررون على صدغَيه المنقلبين

تلك الكلمة الدموية

تحية

تحية

وأنا أفكر في تزاوج الزهور.

على أعتاب فصل بارد،

وفي محفل عزاءِ المرايا،

واجتماع حِداد التجارب شاحبة اللون،

وهذا الغروب الذي أَثْمرَ من عِلْم الصمت،

كيف يتسنى لذلك الشخص الذي يمشي على هذا النحو

صبوراً،

ثقيلاً،

حائراً،

إعطاء أمر بالوقوف.

كيف يمكن القول للمرء بأنه ليس حيًّا ، وهو لم يكن حيًّا
في أي وقت من الأوقات .

الريح تعصف في الحارة ،
والغربان المنفردة المنزوية
تدور في حدائق الكسل العجوز ،
وأي ارتفاع حقير ،
لسُلَّم السقف .
أولئك الذين حملوا معهم
سذاجةَ قلبٍ تامة
إلى قصر القصص ،
والآن
كيف سينهض بعد ذلك شخص للرقص ،
ويلقي بخصلات شعره الطفولية
في المياه الجارية ،

وكيف يدوس بقدميه

تفاحة قد قطفها وشمّها ؟

أيها الحبيب ، يا أكثر الأحبة تفرداً ،

أى سحب سوداء تكون فى انتظار يوم ضيافة الشمس !!

وكأن ذلك الطائر الذى ظهر يوماً ما ،

كان فى مسير من تجسّم الطيران .

وكأن تلك الأوراق النضرة التى أخذت تتنفس النسيم بشغف

كانت من خطوط التخيل الخضراء ،

وكأن تلك الشُعَل البنفسجية التى كانت تحترق فى ذهن النوافذ

ليست شيئاً سوى تصور برىء لمصباح .

الريح تعصف فى الحارة ،

هذه بداية الخراب ،

وذلك اليوم الذى تحطمت فيه يداك ، كانت الريح تعصف

والنجوم العزيزة

والنجوم الكرتونية العزيزة

عندما تأخذ في الهبوب الكاذب في السماء،

كيف إذن يمكن اللجوء إلى حصون الرُسِل الخجلة؟

نحن نلتقى كالموتى من آلاف آلاف السنين،

وسوف تحكم الشمس على فساد أجسادنا.

أشعر بالبرد،

أشعر بالبرد ، وكأنى لن أشعر بالدفء أبداً،

أيها الحبيب .. يا أكثر الأحبة تفرداً "ألم يكن ذلك

الشراب معتَّقًا ؟".

أنظر أى وزن للزمان هنا،

وكيف تنهش الأسماك لحمى،

لماذا تحتفظ بى دائمًا فى قاع البحر؟

أشعر بالبرد، وأضيق ذرعًا بالأقراط الصدفية،

أشعر بالبرد، وأعلم

أنه لن يبقى شيء في مكانه

من كل الأوهام الحمراء لزهرة شقائق برية

سوى عدة قطرات من دم،

وسوف أترك الخطوط

وسوف أترك أيضًا إحصاء الأعداد،

وسوف ألجأ إلى ميادين الحس الواسعة،

من بين الأشكال الهندسية المحدودة.

أنا عارية، أنا عارية، أنا عارية

عارية كلحظات الصمت بين كلام الحب،

وكل جراحي بسبب العشق

بسبب العشق، العشق، العشق.

لقد عبرتُ هذه الجزيرة المضطربة

من ثورة المحيط،

وانفجار الجبل ،
وتمزق سر ذلك الوجود الذى كان متحداً ،
والذى بزغت الشمس فيه على الدنيا من أحقر ذراته .

تحية أيها الليل البرىء ،
تحية أيها الليل .. يا من تُبَدِّل عيون ذئاب الصحراءِ
إلى حفر عَظْمية للإيمان والثقة ،
وعلى شواطئ جداول أنهارك
تشم أرواح أشجار الصفصاف
أرواح البُلَط الحنونة ،
إننى قادمة من دنيا لا تفاوت فيها بين الأفكار والكلام والأصوات ،
وهذه الدنيا تشبه جُحر الثعابين ،
وهذه الدنيا ممتلئة بوقع أقدام البشر ،
الذين يجدلون فى خيالهم حبلاً لشنقك
فى الوقت الذى يُقَبِّلونَك فيه ،
تحية أيها الليل البرىء .

بين النافذة والرؤية

يوجد دائمًا مسافة ،

لماذا لَمْ أَنظر ؟

كذلك الزمان الذى كان فيه المرء يمر بجوار الأشجار المبللة .

لماذا لم أنظر ؟

وكأن أمى كانت باكية فى تلك الليلة ؛

تلك الليلة التى وصلتُ فيها إلى الألم وتشكلت النطفة ،

تلك الليلة التى صرت فيها عروسًا لعناقيد شجرة السنط ،

تلك الليلة التى كانت فيها أصفهان تضج بأصوات تلاطم القيشانى الأزرق ،

وذلك الشخص الذى كان نصفى ، عاد إلى داخل نطفتى .

وكنت أراه فى المرآة ،

وكان كالمرآة طاهرًا ومضيئًا ،

وفجأة نادانى ،

وصرت عروسًا لعناقيد شجرة السنط ،

وكأن أمي كانت باكية في تلك الليلة ،

أي ضياء تافه أطل برأسه من هذه النافذة الصغيرة المسدودة ،

لماذا لم أنظر ؟

كانت كل لحظات السعادة تعلم

أن يديك ستتحطم ،

وأنا لم أنظر

حتى ذلك الوقت الذي فُتحت فيه نافذة الساعة ،

وغرد ذلك الكناري الحزين أربع مرات ،

غرد أربع مرات .

وقابلتُ تلك المرأة الصغيرة ،

التي كانت عيناها تشبه أعشاش العنقاوات الخالية ،

وكذلك كانت تسير وهي تحرك ردفيها ،

وكأنها كانت تحمل معها إلى فراش الليل

بكارة رؤاي المليئة بالعظمة .

هل سأمشط شعرى ثانية

فى الريح؟

هل سأزرع من جديد زهور البنفسج

فى الحدائق؟

وهل سأضع الشمعدانات

فى السماء خلف النافذة؟

هل سأرقص من جديد فوق الغرف الداخلية؟

وهل سينادينى صوت جرس الباب من جديد منتظراً إياى؟

قلت لأمى : "لقد انتهى الأمر" .

قلت : "دائماً قبل أن تفكرى يقع حادث

يجب أن نرسل عزاء إلى الجريدة" .

الإنسان أجوف،

الإنسان أجوف ملىء بالثقة،

أنظر إلى أسنانه

كيف تغنى وقت المضغ.

وعينيه

كيف تكونان جريئتين عندما تحملقان.

وكيف يمر بجوار الأشجار المبللة

صبوراً ،

ثقيلاً،

حائراً.

في الساعة الرابعة؛

في اللحظة التي تشبه خيوط عروقه الزرقاء،

أفاعى ميتة زحفت صاعدة

على جانبَى رقبته،

ويكررون على صدغَيه المنقلبين

تلك الكلمة الدموية

تحية

تحية

هل أنت

لم تشم مطلقًا

زهور الشقائق الزرقاء الأربعة تلك؟

مر الوقت

مر الوقت

وسقط الليل فوق أغصان شجرة السنط العارية،

وانزلق الليل خلف زجاج النافذة،

وبلسانه البارد

كان يبتلع آخر بقايا النهار الفائت.

من أين آتي؟

من أين آتي؟

وهل أنا مضمخة هكذا برائحة الليل ؟
ما زال تراب قبره نديًا ،
أقول قبر ذلك الشاب ذى اليدين الخضراوين . . .

كم كنت حنونًا عطوفًا أيها الحبيب ، يا أكثر الأحبة تفردًا ،
كم كنت حنونًا عطوفًا حين تكذب ،
كم كنت حنونًا عطوفًا حين كنت تغلق أجفان المرايا ،
وتقطف الثريات
من السوق الفضية ،
وتحملنى إلى مروج العشق
فى الظلمة الظالمة ،
حتى يحط ذلك البخار المتصاعد من حريق العطش
على خميلة النوم ،
وتلك النجوم الكرتونية
كانت تدور حول الفضاء اللامتناهى ،

لماذا قالوا الكلام بصوت مرتفع ؟

لماذا استضافوا النظرة في منزل الرؤية ؟

ولماذا حَمَلوا الملاطفة

إلى حُجبِ خصلات الشعر العذرية ؟

أنظر هنا

كيف صُلبت روح من تحدث بالكلام ،

ولاطف بالنظرة ،

واستراح من الخوف بالملاطفة ،

بواسطة سهام الوهم ،

وكيف بقيت على وجنته

آثار أصابعك الخمسة ،

مثل حروف الحقيقة الخمسة .

ما الصمت ؟ ما الصمت يا أكثر الأحبة تفرداً ؟

ما الصمت سوى كلمات غير ملفوظة ،

أنا عاجزة عن الكلام ، لكن لغة العصافير
هى لغة الحياة لكل من يحتفلون بالطبيعة .
لغة العصافير تعنى : الربيع ، أوراق الشجر ، الربيع .
لغة العصافير تعنى : النسيم ، العطر ، النسيم .
وتموت لغة العصافير فى المصنع .

من هو هذا الشخص الذى يتجه نحو لحظة التوحيد
فى طريق الأبدية ،
ويعبئ ساعة ديمومته
مع منطق الرياضيات للطرح والقسمة ؟
من يكون هذا الشخص الذى لا يعرف
أن صياح الديكة هو بداية تحول النهار ،
ويعرف أنه بداية رائحة الإفطار ،
من يكون هذا الشخص الذى يضع
تاج العشق على رأسه
ويذبل فى ثياب العرس .

ثم إن شمس النهاية

لم تشرق فى وقت واحد ،

على قُطْبَىْ اليأس ،

وقد فَرَغْتَ من صخب القيشانى الأزرق ،

وأنا ممتلئة به حتى أنهم يُصَلُّون على صوتى . . .

الجنازات السعيدة ،

الجنازات الحزينة ،

الجنازات الصامتة المفكرة ،

الجنازات الطيبة اللقاء ، الراقية الملبس ، المتخمة بالطعام ،

فى محطات الأوقات المعيّنة ،

وفى المجال المشكوك للأنوار المؤقتة ،

وشهوة شراء فواكه العبث الفاسدة .

آه

أى أناس فى الميادين ينتظرون الحوادث ،

وهذا الصوت لصفارات التوقف،

في اللحظة التي يجب ، يجب ، يجب

أن يُسْحق رجلٌ تحت عجلات الزمن،

ويمر رجل بجانب الأشجار المبللة.

من أين آتي؟

قلت لأمي : "لقد انتهى الأمر"

قلت : "دائماً قبل أن تفكري يقع حادث

يجب أن نرسل عزاء إلى الجريدة".

تحية يا غَرابَةِ الوحدة،

ها أنذا أترك لك الغرفة،

ذلك لأن السحب المظلمة دائماً

ما تكون رسل آيات تطهير جديدة،

وفي استشهاد شمعة،

سر مضيء يعرفه

آخر لهب وأطوله.

فلنؤمن

فلنؤمن ببداية فصل البرد،

فلنؤمن بخرائب حدائق الخيال،

بالمناجل المقلوبة بلا عمل،

والبذور السجينة،

أنظر كم هو كثيف ذلك الثلج المتساقط.

لربما كانت الحقيقة فى تلك اليدين اليافعتين،

تلك اليدين اليافعتين،

المدفونتين تحت وطأة الثلج المتواصل.

وفى السنة المقبلة، عندما ينام الربيع

مع السماء خلف النافذة،

وتتدفق النافورات،

ذات السوق الخضراء بخالية البال فى جسده،

سوف تزهر الأغصان يا أيها الحبيب، يا أكثر الأحبة تفرداً،

فلنؤمن ببداية فصل البرد.

النافــذة

نافذة للرؤية،

نافذة للسمع،

نافذة كحلقة بئر

تصل فى نهايتها إلى قلب الأرض،

وتنفتح ناحية فضاء هذا الحنان المتكرر الأزرق اللون.

نافذة تملأ أيدى الوحدة الصغيرة

بهبات ليلية من عطر النجوم الكريمة،

ومن هناك استضافت

الشمس إلى غربة الزهور الشمعدانية،

نافذة واحدة تكفينى.

إننى قادمة من ديار الدُمى،

من تحت ظلال الأشجار الورقية،

فى حديقة كتاب مُصَوَّر،

من الفصول الجافة لتجارب الحب والعشق العقيمة،

فى أزقة الطُهر الترابية،

من سنوات تطور حروف الأبجدية الشاحبة،

خلف مقاعد مدرسة مسلولة،

منذ اللحظة التى استطاع فيها الأطفال

كتابة كلمة "حجر" على السبورة،

وانطلقت طيور الزرزور الحائرة تحلق من فوق شجرة عتيقة.

إننى قادمة من بين جذور نباتات مفترسة،

وما زال عقلى مفعم بصوت خوف الفراشة

التى صلبوها بدبوس فى دفتر.

عندما كانت ثقتى معلقة بخيط العدل الرفيع،

وفى كل المدينة

كانوا يمزقون قلب مصابيحى إربًا إربًا ،

عندما عصبوا عينَى عشقى الطفولى

بعصابة القانون السوداء ،

وكانت نافورات الدم تتدفق

من أصداغ رغبتى المضطربة ،

وعندما لم تعد حياتى شيئًا

سوى دقات ساعة الحائط ؛

أدركت أنه يجب ، يجب ، يجب

أن أحب بجنون .

نافذة واحدة تكفينى ،

نافذة إلى لحظة المعرفة والنظر والصمت ،

والآن كبرت شجيرة الجوز ،

بحيث إنها أصبحت تفسر معنى الجدار

لأوراقها الصغار .

اسأل المرآة

عن اسم منقذك،

وهل الأرض التى تهتز تحت قدمك

وحيدة أكثر منك؟

لقد أتى الرسل برسالة الخراب

فى قرننا،

وهذه التفجيرات المتلاحقة

والسحب المسمومة

هل هى صوت الآيات المقدسة؟

أيها الحبيب، أيها الأخ، أيها القريب

عندما تصل إلى القمر،

أُكتب تاريخ مذبحة الزهور.

دائمًا ما تهوى الأحلام

من أعلى سذاجتها وتموت،

إننى أشم نبتة برسيم ذات أربع ورقات

نبتت على قبر المفاهيم العتيقة ؛

فهل المرأة التى تحولت إلى تراب فى

كفن انتظارها وطهارتها

كانت شبابى ؟

وهل سأصعد من جديد دَرَجَ تطلعى ؛

حتى أُحَيِّى الإله الطيب ، الذى يمشى بتؤدة

على سطح المنزل ؟

أشعر أن الوقت قد فات ،

أشعر أن "اللحظة" هى نصيبى من أوراق التاريخ ،

أشعر أن المائدة مسافة وهمية بين شَعْرى

ويَدَىْ هذا الغريب الحزين .

تَحَدَّثْ معى ؛

فهل الشخص الذى يهبك حنان جسد حى

يريد منك شيئًا آخر

سوى الشعور بالحياة؟

تَحَدَّثْ معى؛

فأنا فى ملجأ نافذتى

مرتبطة بالشمس.

أشعر بالأسى نحو الحديقة

لا أحد يفكر فى الزهور،

لا أحد يفكر فى الأسماك،

لا أحد يريد

تصديق أن الحديقة تموت،

وأن قلب الحديقة قد تورم تحت أشعة الشمس،

وأن ذهن الحديقة يَفْرَغُ بهدوء

من الذكريات الخضراء،

وأن إحساس الحديقة كأنه

شيء مجرد قد تحلل فى زاوية من زواياها.

فناء منزلنا وحيد،

فناء منزلنا يتثاءب،

في انتظار هطول أمطار سحابة مجهولة.

وحوض منزلنا فارغ،

وتقع على الأرض من أعلى الأشجار

نجوم صغيرة عديمة التجربة،

ومن النوافذ الشاحبة لبيت الأسماك

يأتي صوت السعال في الليل،

فناء منزلنا وحيد.

يقول أبي:

"لقد قمت بدوري،

لقد قمت بدوري،

وحملت حملي،

وأديت عملي".

وكان يقرأ في غرفته

من الصباح حتى الغروب

إما "الشاهنامة"(٣) أو "ناسخ التواريخ"(٤).

يقول أبى لأمى:

"اللعنة على كل الأسماك وكل الطيور

عندما أموت

أى فرق إن كانت هناك حديقة

أو لم تكن هناك حديقة،

إن مُرَتَّب التقاعد يكفينى".

إن حياة أمى كلها

سجادة صلاة ممدودة

على عتبة الخوف من الجحيم،

وأمى تبحث دائمًا فى قاع كل شىء

عن أثر للمعصية،

وتعتقد أن كُفر نبات واحد

قد لوث الحديقة.

إن أمي تدعو طوال النهار

وهي مذنبة بالفطرة،

وتنفث دعاءها على كل الزهور

وتنفث دعاءها على كل الأسماك

وتنفث دعاءها على نفسها

أمي تنتظر ظهوراً

ومغفرة سوف تنزل.

أخي يطلق على الحديقة اسم المقبرة،

أخي يضحك من فوضى الأعشاب،

ويعد جثث الأسماك

التي تتحول تحت جلد الماء المريض

إلى ذرات متعفنة،

إن أخي مدمن على الفلسفة،

ويعتقد أن شفاء الحديقة

يكون في دمارها ،

هو يَسْكر

ويضرب بقبضته على الأبواب والجدران ،

ويحاول أن يقول إنه

متألم جداً ، ومتعب ، ويائس ،

وهو يحمل يأسه أيضاً معه

إلى الحارة والسوق ،

كما يحمل بطاقة هويته والتقويم والمنديل والقداحة وقلم الحبر الجاف ،

ويأسه تافه صغير بحيث إنه

يضيع كل ليلة في ازدحام الحانة .

وأختي التي كانت صديقة للزهور ،

كانت تأخذ كلمات قلبها البسيطة

إلى صحبتها الحنونة والصامتة،

عندما كانت أمى تضربها،

وأحيانًا كانت تستضيف عائلة الأسماك

وتقدم لهم الشمس والحلوى . . .

منزلها فى الناحية الأخرى من المدينة،

هى فى منزلها الصناعى،

مع أسماكها القرمزية الصناعية ،

وفى مأمن عشق زوجها المتكلف،

وتحت أغصان أشجار التفاح الصناعى،

تغنى أغانى صناعية ،

وتنجب أطفالاً طبيعيين.

وكلما جاءت لزيارتى

وتلوثت حواشى ثوبها بفقر الحديقة،

تأخذ حمامًا من الكولونيا،

كلما جاءت لزيارتنا

تكون حاملاً .

فناء منزلنا وحيد ،

فناء منزلنا وحيد ،

وطوال النهار

يأتى صوت تفتت من خلف الباب

وانفجار،

وجيراننا جميعًا يزرعون

فى تربة حدائقهم قنابل ورشاشات

بدلاً من الزهور،

جيراننا جميعًا

يغطون أحواضهم المكسوة بالقيشانى ،

وهذه الأحواض المكسوة بالقيشانى

تصبح مخازن سرية للبارود ،

دون رغبتهم،

وقد ملأ أطفال حارتنا حقائبهم المدرسية

بالقنابل الصغيرة،

فناء منزلنا حائر.

أخشى من زمن فقد قَلْبَهُ،

أخشى من الفكرة التافهة لكل هذه الأيدى،

والتخيل الغريب لكل هذه الوجوه؛

فأنا كتلميذة

تحب درسها فى الهندسة

حبًا جنونيًّا

أنا وحيدة،

وأعتقد أنه يمكن نقل الحديقة إلى المستشفى

أعتقد .. أعتقد .. أعتقد،

وقد تورم قلب الحديقة تحت أشعة الشمس،

وذهن الحديقة يَفْرَغُ بهدوء

من الذكريات الخضراء.

شخص ليس كأى شخص

رأيت فى النوم أن أحدهم قادم،

رأيت فى النوم نجمة قرمزية اللون،

وقد أخذ جفناى يرتعشان،

وقفزت من مكانى،

ويارب أصاب بالعمى

إن كنت أكذب؛

فقد رأيت فى النوم تلك النجمة القرمزية

عندما كنت فى حالة الصحو،

أحدهم قادم،

أحدهم قادم،

شخص آخر،

شخص أفضل،

شخص ليس كأى شخص، ليس كأبى، ولا كإنسىٍّ، ولا مثل يحيى، ولا مثل أمى.

بل هو ذلك الشخص الذى يجب أن يكون،

هو من تكون قامته أطول من أشجار منزل المعمارى.

ووجهه

أكثر ضياء ونوراً من وجه إمام الزمان،

ولا يخاف من أخى سيد جواد

الذى ذهب

وارتدى زى الشرطى،

ولا يخاف أيضًا حتى من سيد جواد نفسه،

الذى يمتلك جميع غرف منزلنا،

واسمه كما تناديه أمى

فى أول الصلاة وفى آخر الصلاة، قائلة:

يا قاضى القضاة،

يا حاجة الحاجات،

ويمكنه قراءة كل الكلمات الصعبة فى كتاب الصف الثالث

وهو مغمض العينين،

ويمكنه حتى طرح ألف من عشرين مليونًا دون خطأ أو نقصان،

ويمكنه أن يشترى بالأجل ما يلزمه

من متجر سيد جواد،

ويمكنه أن يضيء المصباح الأخضر

الذى يحمل اسم "الله" كالفجر

مرة ثانية أعلى مسجد "مفتاحيان"،

آه . . .

ما أجمل الضياء،

ما أجمل الضياء،

وكم أتمنى أن يكون ليحيى

عربة نقل

ومصباح.

وكم أتمنى أن أجلس فى عربة يحيى
وسط حبات البطيخ والشمام،
وأن أدور حول ميدان المحمدية،
آه ...
كم يكون الدوران فى الميدان جميلاً،
وكم يكون النوم فوق السطح جميلاً،
وما أجمل الذهاب إلى الحديقة الوطنية،
وما ألذ طعم شراب البيبسى،
وما أجمل أفلام سينما "فردين"،
وكم تعجبنى كل الأشياء الجميلة،
وكم أود شد جدائل ابنة سيد جواد.

لماذا أكون من صغر السن هكذا
بحيث أضل طريقى فى الشوارع،
ولماذا لا يقوم أبى

وهو ليس في مثل صغري
ولا يضل طريقه في الشوارع أيضاً
بعملٍ يوم قدوم ذلك الشخص
الذي رأيته في نومي.

ولماذا لا يقوم أهل محلة المذبح
الذين اصطبغ تراب حدائقهم بالدماء،
وكذلك اصطبغت مياه أحواضهم بالدماء،
وكذلك نِعال أحذيتهم،
بعملِ شئ؟
لماذا لا يقومون بعمل شيء؟
لماذا لا يقومون بعمل شيء؟

ما أكسل شمس الشتاء؛
لقد كنستُ الدرج المؤدي إلى السطح،

وغسلتُ زجاج النافذة أيضًا ،

لماذا ينبغى على أبى فقط أن يحلم

أثناء نومه؟

لقد كنستُ الدرج المؤدى إلى السطح ،

وغسلتُ زجاج النافذة أيضًا .

أحدهم قادم ،

أحدهم قادم ،

هو معنا بقلبه ،

هو معنا بنفسه ،

هو معنا بصوته ؛

شخص لا يمكن

الحيلولة دون مجيئه ،

أو تقييده أو إلقائه فى السجن ،

هو الشخص الذى ولد تحت أشجار يحيى العتيقة ،

ويومًا بعد يوم

يكبر ويزداد نموًا،

شخص من المطر، من صوت هطول المطر،

من بين همسات الورود الحمراء.

شخص يأتي من سماء ساحة المدفعية

في ليلة الألعاب النارية،

ويمد السماط،

ويوزع الخبز،

ويوزع البيبسي،

ويوزع الحديقة الوطنية،

وشراب السعال الأسود،

وأيام تسجيل الأسماء،

وأرقام غرف المستشفى،

والأحذية المطاطية طويلة الرقبة،

وبطاقات سينما "فردين"،

وملابس ابنة سيد جواد،

ويوزع كل ما أتت به الرياح،

ويعطينا أيضًا نصيبنا،

لقد راودني حلم.

وحده الصوت يبقى

لماذا أتوقف ، لماذا ؟

لقد ذهبت الطيور بحثًا عن الأفق الأزرق ،

الأفق عمودى ،

الأفق عمودى وحركته تشبه حركة النافورة ،

وعلى مرمى البصر

تدور كواكب نورانية ،

وتصل الأرض إلى التكرار عند الارتفاع ،

والآبار الهوائية ،

تتحول إلى أنفاق وصال ،

واليوم فضاء

لا يتسع فى العقول الضيقة

لديدان الجرائد .

لماذا أتوقف؟

الطريق يمر من بين شعيرات عروق الحياة،

وكيفية محيط

سفينة رحم القمر

ستقتل الخلايا الفاسدة،

وفى الفضاء الكيميائى بعد بزوغ الشمس

يكون الصوت فقط،

الصوت الذى سيجذب ذرات الزمان،

لماذا أتوقف؟

ماذا يمكن للمستنقع أن يصنع

ماذا يمكن أن يصنع سوى أن يكون موطنًا

لوضع بيض الحشرات الفاسدة،

وتدون الجثث المنتفخة أفكار الثلاجة،

والجبان خبأ خِسَّتَه

في السواد.

والصرصور ... آه

عندما يتكلم الصرصور

لماذا أتوقف؟

لا جدوى من تعاون حروف الرصاص،

لا جدوى من تعاون حروف الرصاص،

لن تنقذ الفكر الوضيع،

أنا من سلالة الأشجار

يحبطني تنفس الهواء الراكد،

والطائر الذى مات نصحنى

بأن أتعلم الطيران،

إن نهاية مدى كل القوى هى الارتباط، الارتباط

بمبدأ الشمس الساطع،

والذوبان فى الإحساس بالنور،

إنه لمن الطبيعى أن تتحطم طواحين الهواء،

لماذا أتوقف ؟

إننى أضم إلى صدرى

حزماً غير ناضجة من القمح

وأرضعها ،

الصوت ، الصوت ، فقط الصوت

صوت أمنيات الماء الصافية للتدفق ،

صوت انتشار ضياء النجوم

على جدار أنوثة الأرض ،

صوت انعقاد نطفة المعنى

وبسط الذهن المشترك للعشق ،

الصوت ، الصوت ، الصوت ، وحده العشق يبقى .

فى بلاد الأقزام

سافرت دائماً معايير التقويم ،

على مدار الصفر

لماذا أتوقف ؟

إننى أطيع العناصر الأربعة ،

وعمل تدوين لائحة قلبى

ليس ضمن أعمال حكومة العميان المحلية ،

ماذا يعنى لى عواء الخوف الطويل

فى الأعضاء الجنسية للحيوانات ؟

ماذا تعنى لى حركة الدودة الحقيرة

فى فضائها اللحيم ؟

لقد تعهدنى الأصل الدامى للزهور بالحياة ،

فهل تعرف الأصل الدامى للزهور ؟

الطائر مشرف على الموت

لقد انقبض قلبى ،

لقد انقبض قلبى .

إننى أذهب للشرفة

وأمسح بأصابعى على جلد الليل الممتد ،

إن مصابيح العلاقات مطفأة ،

إن مصابيح العلاقات مطفأة .

ولن يعرّفنى أحد للشمس ،

ولن يصحبنى أحد إلى ضيافة العصافير ،

تذكَّر التحليق ؛

فالطير مشرف على الموت .

هوامش الكتاب

(١) **كارون :** نهر ينبع من جبال بختيارى ويعد أكبر أنهار إيران.

(٢) **دى :** هو الشهر العاشر من السنة الشمسية الإيرانية (من ٢٢ ديسمبر إلى ٢٠ يناير).

(٣) **شاهنامة الفردوسي :** أعظم منظومة بطولية وتاريخية فى إيران ، نظمها الشاعر الفردوسى حوالى سنة ٤٠٠ هـ فى ستين ألف بيت . وموضوعها هو تاريخ إيران القديم وحتى الفتح العربى بعد القضاء على الساسانيين.

(٤) **ناسخ التواريخ :** كتاب فى التاريخ ألفه ميرزا محمد تقى سپهر بأمر من محمد شاه قاجار، وانتهى منه على عهد ناصر الدين شاه.

الشاعرة فى سطور:

فروغ فرخزاد

- شاعرة إيرانية من مواليد عام ١٩٣٢ .
- نشرت أول مجموعة شعرية لها "الأسيرة" وهى فى سن السابعة عشرة .
- من أبرز دواوينها الشعرية : "الجدار" ، "العصيان" ، "ميلاد جديد" .
- عملت بالتمثيل والإخراج السينمائى .
- توفيت عام ١٩٦٦ .

المترجم فى سطور:

محمد نور الدين عبد المنعـم عبد القادر

- حـاصل على دكتوراه الآداب فى اللغـة الفارسيـة وآدابها من كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٢م .

- يعمل حاليًا أستاذًا متفرغًا للغة الفارسية وآدابها بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهـر .

- تولى عدة مناصب إدارية وفنية هامة منها :

عميد كلية اللغات والترجمة .

رئيس لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

- ألف وترجم ما يقرب من ثلاثين كتابًا أهمها :

دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى - اللغة الفارسية : بحوث فى النشأة والتطور - جوانب من الثقافة الإيرانية - البلاغة العربية وأثرها فى نشأة البلاغة الفارسية وتطورها - معجم النور لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (عربى - فارسى) - معجم المصطلحات السياسية والعسكرية - معجم المصطلحات الفلسفية - ترجمان البلاغة - كمال الدين بهزاد المصور الإيرانى المبدع - أوزان الشعر الفارسى .

- كتب ما يقرب من خمسة وسبعين بحثًا ومقالاً منشوراً ، منها :

الألفاظ الفارسية فى العامية المصرية - كلمات فارسية فى شعر أبى نواس - وصف مصر فى كتاب حدود العالم - تأثيرات عربية فى كتب البلاغة الفارسية - البازار ودوره فى المجتمع الإيرانى - ترجمة فارسية منظومة لمعانى القرآن الكريم - المخطوطات الفارسية بدار الكتب المصرية - المصاحف الإيرانية المخطوطة فى مكتبات مصر ومتاحفها - المجمع اللغوى الإيرانى - المقاهى الإيرانية ودورها الاجتماعى والثقافى .

التصحيح اللغـوى : **رفيق الزهار**

الإشــراف الفنــى : **حسن كامل**



فروغ فرخزاد

نافذة للرؤية،

نافذة للسمع،

نافذة كحلقة بئر

تصل فى نهايتها إلى قلب الأرض،

وتنفتح ناحية فضاء هذا الحنان المتكرر الأزرق اللون.

نافذة تملأ أيدى الوحدة الصغيرة

بهبات ليلية من عطر النجوم الكريمة،

ومن هناك استضافت

الشمس إلى غربة الزهور الشمعدانية،

نافذة واحدة تكفينى .

تصميم الغلاف: عمرو الكفراوى

